لعيون الكرت الأخضر – عادل سالم
مجموعة قصصية – حزيران 2006 - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت

الإهداء

إلى الذين جربوا نار الغربة عن الوطن فقرروا العودة إليه، لأنهم اختاروا الموت بناره بما فيه من فقر وقهر، على العيش في جنة الغربة.

عادل سالم

شباط – فبراير – 2006

كلمة لا بد منها

عزيزي القارئ

أضع بين يديك المجموعة القصصية الأولى (لعيون الكرت الأخضر)، من بين عدة مجموعات قصصية منوعة جاهزة، ستنشر تباعا خلال الفترة القادمة، آملا أن أكون قد وفقت في نقل واقع أبطال القصص ومعاناتهم إليك لتستطيع أن تحكم عليها ضمن ظروفهم التي عاشوا فيها.

وقد حرصت في هذه المجموعة القصصية أن أنقل للقراء في أرض الوطن وفي منافي الغربة نماذج من قصص واقعية عاشها أبناؤنا العرب المغتربون في الولايات المتحدة.

هذه القصص ليست من وحي الخيال مع أهمية ذلك وأبطالها ليسوا مجرد أبطال على الورق لكنهم أبطال حقيقيون عاشوا وبعضهم ما زال يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية حتى اليوم.

لكن الأسماء الواردة في هذه القصص لا تنطبق على الواقع وهي أسماء وهمية من وضع المؤلف وإن تطابقت مع اسم أو آخر فالتطابق محض مصادفة. ذلك لأن بعض هذه القصص تعبير عن ظاهرة في الوسط العربي في الولايات المتحدة وربما، أوروبا، أكثر منها قصة فرد بعينه أو أسرة بعينها.

ويجدر بي أن أنوه هنا ضرورة أن لا يعمم القارئ ما يقرأه على كل أبناء الجاليات العربية المغتربين. فهذه القصص ليس مهمتها إيصال القارئ إلى مثل هذه النتيجة.

وفي الختام أسجل شكري لكل الأصدقاء الأدباء والكتاب الذين شجعوني على ولوج عالم القصص، بعد أن كنت أعوم في عالم الشعر، ولولا تشجيعهم هذا ما كانت هذه المجموعة لترى النور.

صاحب هذه المجموعة يسعده أن يسمع رأي القراء والأدباء والنقاد في هذه المجموعة ويكون شاكرا لهم لو أبدوا ملاحظاتهم على البريد الألكتروني التالي :

Adelsalem1957@yahoo.com

عادل سالم

نهاية شباط – فبراير – 2006

www.diwanalarab.com

www.adelsalem.com

إلى الجحيم يا علي

في إحدى ضواحي مدينة ملواكي الواقعة في ولاية وسْكانْسِن الأمريكية والتي تقع بين ولاية إلينويس جنوبا ومنسوتا شمالا ،كان علي حسان العربي الوحيد الذي يمتلك بقالة صغيرة لا تزيد مساحتها عن ثلاثة آلاف قدم مربع، يرتادها سكان الأحياء المجاورة للحاجات السريعة التي لا تحتاج إلى الانتظار فى طابور المحلات الكبيرة التي تكون عادة أقل سعراً. هذا النوع من المحلات يسميها الأمريكيون Convenience stores.

كان علي مسروراً بمحله الجديد منذ اشتراه قبل ثلاثة أعوام،حيث يعمل به طيلة الأسبوع ويساعده عاملان آخران يتناوبان في المساعدة إذ لا يستطيع علي القيام بكل أعمال المحل وحده ،كما تساعده أحيانا زوجته الأمريكية من أصل عربي والمولودة في أمريكا خصوصا في المعاملات مع المصارف والمحاسبين ودائرة الضرائب.

محل علي أو بقالته سماها باسمه "علي فود ماركت" ،وكان مرتاحا إلى زبائنه ،معظمهم من البيض ،وسكان الأحياء القريبة، وكان يغلب على المنطقة الهدوء حيث كانت بعيدة عن وسط المدينة- حيث الضجة وأصوات السيارات.

فى أحد الأيام- بعد الظهر- كان اليوم ثلاثاء حسب ما يذكر علي وبينما كان أحد العمال يعمل على " الكاش رجستر" يحاسب أحد الزبائن لاحظ علي وهو في مكتب المحل -من خلال كاميرات المراقبة- طفلاً أسود اللون يبدو أنه في سن 15 سنة يسرق قطع الشوكلاتة ويضعها فى جيبه، اغتاظ علي فترك المكتب وذهب إلى الطفل وألقى القبض عليه.

- أيها اللص أخرج ما بجيبك قبل أن أحضر لك الشرطة .

خاف الولد فأخرج ما سرقه بجيبه مدعيا أنه لم يكن ينوي سرقتها وإنما كان ينوي دفع ثمنها.
قال علي:
- أيها الكذاب ، أنت سرقتها لولا أن ألقيت القبض عليك.

مد علي يده لتناول القطع المسروقة فاستغل الطفل الفرصة وفر هارباً، لحقه علي بأقصى سرعة وطلب من الموظف عنده استدعاء الشرطة، ولم يعد إلا والطفل معه.

كان علي قلقا في الفترة الأخيرة فقد زادت حوادث السرقة في المحل وأراد أن يضع حداً لها قال في نفسه..
لو كل شخص سرق سأسامحه ستتكرر السرقات، علي أن أسلم بعضهم للشرطة لمعاقبتهم . ثم سأل الولد:

- أنا لم أرك من قبل من أين أنت؟.
نحن من شيكاغو،لقد انتقلت أنا وأمي للسكن في هذه المنطقة منذ أسبوع .
فسأله علي:
- منذ فقط أسبوع وبدأت تسرق؟.
- فرد الولد:
- قلت لك كنت أنوي دفع ثمنها.
فسأله علي:
- حسنا أرني الفلوس.
تظاهر الولد بالبحث عن الفلوس ، فلم يجد شيئا فقال له:
- يبدو أنها سقطت وأنت تلاحقني.
قال علي:
- سقطت يا كذاب ! حسنا كم كان معك.
قال الولد:
- كوارا (25 سنتا).
ضحك علي وقال له:
- ما وضعته فى جيبك يساوى أكثر من خمسة دولارات ثم أكمل قائلا:
هل علمتك أمك السرقة؟ أم أبوك الحرامي مثلك؟
فصاح الولد:

- لا تقل ذلك عن أمي ، أمي أشرف منك.
- اخرس يا حيوان قال علي..

فى هذه الأثناء دخل الشرطي ، فاستقبله علي وقال

- (سير) هذا الولد ضبطته يسرق فى المحل وعندي شريط الفيديو يثبت لك ما أقول ، أريد أن تعاقبه بأي طريقة لأن السرقة أصبحت ظاهرة يومية وأريد وضع حد لها ..

- قاطعه الشرطي وقال حسنا دعني أولا آخذ بعض المعلومات..

سجل الشرطي اسم المحل واسم صاحبه واسم الطفل واسم أبيه وأمه ورقم هاتف البيت.

اتصل الشرطي بالبيت فردت أم الطفل ، سألها الشرطي:

- هل أنت السيدة فليمنج والدة الطفل جو فليمنج؟
- نعم ، هل حصل لابني مكروه؟.
- لا ابنك بخير لكنا نريدك هنا فقد قبض عليه يسرق في أحد المحلات.
- ماذا ابني يسرق؟ (قالت بغضب) ؟ ثم سألت الشرطي ..
- أين أنتم الآن؟.

رد الشرطي

- نحن فى محل آلي فود على العنوان التالى:....
- حسنا عرفت سأحضر فوراً ، باي.

أغلقت الأم السماعة وتوجهت فوراً إلى المحل المذكور. دخلت الأم المحل فشاهدت ابنها في القسم الأخير من المحل، مقيد اليدين وبجانبه الشرطي يسجل بعض الأمور على دفتره ،فصاحت ..

- ابني حبيبي ماذا حصل؟. فرد عليها الشرطي..
- ابنك ضبط سارقاً وأنت مسئولة عن انحرافه.

قالت له:

- (سير) لابد أن أحداً اتهم ابني زوراً ، فهو ولد مؤدب ثم طلبت منه أن يأخذ بعين الاعتبار أنه طفل لم يتجاوز الرابعة عشرة فقال لها:
- إذا تنازل صاحب المحل عن الاتهام يمكننا الصفح عنه ثم استدار الشرطى لينادي عليا الذي انشغل فى مكالمة هاتفية من أحد الزبائن.

جاء علي إلى الشرطي، نظر إلى الأم، ثم نظرت الأم السوداء إليه قطب حاجبيه وحرك شفتيه

فغرت فاها وبحلقت فيه

- أأنت علي ؟!..
- أأنت بتريشا ؟!..
- ياللمصادفة ،أأنت صاحب المحل؟ قالت بتريشا (أم الطفل).
- فرد عليها سائلاً:
- وأنت أمه؟ -أشار بيده للولد اللص؟.
- هزت رأسها، وقد بدأت الدموع تنزل من عينيها، أرادت أن تضم عليا لصدرها لكنه تحاشى ذلك. فسألها:
- من هذا الولد؟ لا تقولي هو!
- نعم هو نفسه، انظر إليه.

فقال بعصبية:

- ألم نتفق؟

فصرخت به:

- علي أهكذا يستقبل الأب ابنه؟
- اهتز الشرطي منفعلاً
- (جيسس) يا للمسيح ، هل أنا في رواية درامية، أرجوكم ليس عندى وقت أضيعه ، هل آخذ الطفل للقسم أم تريد يا علي التنازل عن القضية.

التفت علي للشرطى وقال له بنبره غاضب:

- لا بأس أنا سأتنازل عن الاتهام هذه المرة وسأحل المشكلة مع أمه.

فك الشرطي قيود الطفل وغادر المكان وهو يقول:

- أوه ماي جاد(يا إلهي) ، أعتقد أنني في حلم.

طلب على من بتريشا أن تلحقه للمكتب حتى لا يزعجوا الزبائن، وأشار لها أن تجلس هي وابنها على الكرسي.

كان الولد لا يصدق ما يسمع!

- ياللصدفة ، أهذا أبي؟ أنا أبي عربي وصاحب محل يالحظك يا جو.. بعد قليل سيتشري لك أبوك قطع الكاندي والبوظة..

قطع تفكيره صوت علي يقول لبتريشا

- بتريشا تذكرين أننا اتفقنا منذ ولدت الطفل على أن تحضنيه وتسجليه باسمك مقابل عشرين ألف دولار وقد وقعنا اتفاقا على ذلك بالمحكمة، وقبضت المبلغ مقابل أن تتركيني بحالي.

فقالت له غاضبة:

- نحن لا نتحدث عن اتفاق ولا عن نفقة للولد ، نحن نتحدث عن الأبوة، عن واجبك كأب ، صمتت ثم قالت ودموعها على خدودها..
- علي ألا تتحرك لك أية مشاعر وأنت ترى ابنك؟.
انظر ، ألا يشبهك لولا لونه الأسود؟.
- هز رأسه وقال عابسا:
- لا تحرجيني يا بتريشا ، اتفقنا وكان عليك أن لا تسكني قريبة مني.
- فصاحت بتريشا:
- أنا لم ألحق بك ، ولا أعرف أين أنت أصلا ، أنا سكنت هنا لأن الشركة التي أعمل بها نقلتني للعمل بفرعها الجديد في المنطقة . ثم قل لي لماذا ألحق بك؟ لم أعد بحاجة إليك فقد تزوجت منذ عشر سنوات، لكني آسف أنك أب لا مشاعر عنده، ألم تتزوج؟ أليس عنك أولاد؟.
- بتريشا ، تزوجت وعندي أولاد ولا أريدهم أن يحضروا الآن ليروا ما نحن فيه.

فقالت له:

- لم أنت خائف ؟ أتخاف أن تعرف زوجتك علاقتك السابقة معي؟ طبعا أخفيت عنها كل شيء ، كذبت عليها هكذا أنتم الرجال العرب، كذابون تخدعونا ثم تنكرون أمام زوجاتكم أية مغامرات لكم.

صاح علي:

- يكفي يا باتريشا ،ليس هذا ما يهمني، وليس هكذا كل العرب

فقالت ساخرة:

- إذن ماذا يخيفك؟.

أتخاف أن يعرف الأولاد أن لهم أخا آخر.

صمتت ثم قالت..

- أخا أسود ، طبعا فهذا عارك، أنسيت ما قلت لي حينها، أنك لا تستطيع أن تقول لأصدقائك وأهلك أن لك ولداً أسود، فهذه فضيحة في عرفكم أليس كذلك؟.. قلها أمام ابنك، دعه يعرف حقيقة أبيه الذي باعه لأمه. ترى لو كان أبيض هل تركتني أتولى حضانته بسهولة؟

دعه يعرف حقيقة مشاعرك الكاذبة ، لماذا لم تخجل عندما أقمت معي علاقة جنسية ،ألست سوداء؟ أم إنكم حينما تمارسون الجنس لا يهمكم اللون، بل يهمكم الجسد الذي ستفرغون فيه قذارتكم ؟ ألم تقل لي حينها، أنني رائعة وجميلة ،ألم تقل لي إنك لم تشعر بحياتك بلذة جنسية كما شعرتها معي، فلماذا لا تحركك مشاعر الأبوة؟ أم إنكم رجال تحرككم الغرائز كالحيوانات لا المشاعر كالبشر.

صمت علي لا يدري ماذا يقول؟ أحس بإهانة كبيرة، بدأ يفكر ويتساءل:

- أليست محقة؟ ألم أكن كذابا؟ كل ما كان يهمني هو ممارسة الجنس ولم أكن أسأل عما سيحصل فيما بعد، وها أنا أدفع ثمن نزواتي الكثيرة.

نظر إلى الولد، حاول أن يقول شيئا له، لكنه عجز ، شعر بإحباط بهزيمة، لم يشعر بأية مشاعر أبوية تجاهه، كان يرى فيه صورة بشعة لجريمته البشعة التي ارتكبها مع بتريشا في لحظة هياج جنسي.

ما هذا يا رب ، ما هذا الذي وضعتني فيه ؟ ماذا لو جاءت زوجتي الآن مع الأولاد ؟ ماذا أقول لها ؟ هل أقول لأولادي لكم أخ أسود أخفيته عنكم 14 عاما ؟ ماذا ستكون مشاعرهم عندما يعرفون أن أباهم كذاب.. لا يمكن.. لا يمكن..

لن أضحي بعائلتي من أجل ولد لص.. صمت ثم قال من أجل ولد أسود .. اغفر لي يا رب ، أعرف أن لا فرق بين أسود ولا أبيض إلا بالتقوى، لكني أمام مجتمع متخلف. لا أدري ربما أنا المتخلف.

نظر إلى الولد مرة أخرى فرآه يبكي، التفت الطفل لأمه وقال لها..

- هذا يكفي يا أمي، لقد قلت لي أبوك مات، هل نسيت؟

لقد مات أبي منذ زمان.. أرجوك تعالي نخرج قبل أن أموت قرفا من هذا الإنسان التافه .. تغير وجه علي لهذا الجواب لكنه ظل صامتاً. يبدو أنه كان يقاوم شيئا في داخله. في تلك اللحظة الصعبة قرر على ما يبدو أن يقتل في نفسه كل إحساس إنساني. قرر أن يكون علي القاسي .

أمسكت الأم يد ابنها بعد أن مسحت دموعه بيدها وضمته إلى صدرها ، ثم استدارت إلى علي قبل أن تغادر المكان.

- الآن عرفت أية حقارة رمتك علينا، إلى الجحيم يا علي..

لحق بها علي قبل أن تغادر، رفع يده اليمنى وهم بمناداتها ، لكنه فجأة تراجع، أحس بشيء ينزل يده . زم شفتيه، أمسك شعره بيديه كمن يريد أن يقتلعه ثم قال بغضب:

- إلى الجحيم يا على..
- Go to Hell Ali.

أبو أنور قتلته الغربة

كـان الوقـت مسـاء فـي مطلـع العـام 1990 ، جلـس الأولاد أنـور وعمـر وسـامية يشاهدون مسلسلا سوريا في التلفزيون ببيتهم في عمان، فجأة قرع الباب ، نادت الأم أحد الأولاد.

- عمر ، افتح الباب يما، شوف مين بيدق .

- مش قايم ، خلي أنور يقوم.

قرع الباب مرة أخرى ، فنادت الأم مرة أخرى.

- قوم يا حمار شوف مين ع الباب.

نهض عمر وهو يلعن الباب ومن على الباب، صرخ قائلا:

- كل مرة لازم عمر يفتح الباب ، يعني علشـان أنـا صـغير لازم دايمـا أنـا اللـي أفـتح الباب ؟ روح يا عمر، تعال يا عمر، .. طز فى عمر.

وصل عمر إلى الباب ، فتحه فإذا بالباب رجل لم يتعرف عليه عمر بعد..

- مين حضرتك؟ ابتسـم الرجل وقال:

- شو مش عارفني يا عمر؟

لا مش عارف ، وكيف عرفت أسمي؟

- معقول الواحد يغلط بابنه؟ إوعى يا ولد خليني أدخل.

- يعني أنت أبوي، صاح عمر وهم عليه يقبل يديه.
وقال له:
- تفضل يابا تفضل ،نورت الدار، ثم صاح بأعلى صوته.
- يما ، أنور، سامية، أبي رجع من أمريكا.
ضحك الأولاد ولم يتحركوا فهذا آخر ما يتوقعونه أصلاً، أما أم أنور فقد ردت عليه قائلة:
- بس يا ولد بلاش مسخرة، مين ع الباب؟
- أبوي يما تعالي شوفي.
خرجت أم أنور لترى من الطارق ، فهي لم تتوقع أن يكون عمر صادقاً ، فأبو أنور غادر البلد منذ 16 سنة، لم يرسل فيها سوى رسالتين وألف دولار ثم انقطعت أخباره وبالعربي الفصيح لم يعد يتصل. كانت أم أنور تسمع من أهل البلد المغتربين أنه حي يرزق لكنه لم يكن يتصل أو يسأل عن الأولاد ولا الزوجة.
فجأة رأته أمامها، أبو أنور بشحمه ولحمه.
- أبو أنور ؟ معقول ؟ لا حس ولا خبر؟
معقول راجع بعد غياب 16 سنة ما كلفت حالك تسأل كيف البسس (القطط) اللي خلفتهم وراك؟
- شو ها الاستقبال يا أم أنور؟ هلأ وقت معاتبات؟.
والله كنت أبعث لك سلامات مع أولاد البلد.
- سلام الاصبع ، لا بيضر ولا بينفع.

خرج أنور وسامية على صوت الأم ليفاجأا بأبيهما، عرفاه من صورته، رغم أن ملامحه تغيرت. سلمت سامية بفتور وسلم أنور من دون أن ينبس ببنت شفه . وقال أبو أنور:
- ول ول شو ها الاستقبال؟ أنا أبوكم.
- شو جاي تزورنا ولا تودعنا ؟. سألته سامية
- له يا أولاد، طبعا أنا كلي شوق ليكم، اشتقت لكم ولأم أنور، والله الحياة بدونكم ما تسوى سنت واحد.

حمل عمر حقيبة أبيه الصغيرة ، وسأله عن بقية الحقائب. فقال له هذا كل ما أحضره معه.

- شنطة صغيرة بس؟.

- بس يا عمر ، ليش أجيب شنط كبيرة وكثيرة؟

هيك أسهل يا ابني.

لم يكن أبو عمر ،يحمل لأولاده أية هدايا ، قال لهم ولأمهم، لا تقلقوا سأشتري لكم هدايا من البلد دعما للصناعة الوطنية!

بدأ أبو أنور يتفحص البيت، والصور المعلقة على كل جدار دخل غرفة النوم، نفس السرير القديم الذى اشتراه منذ 25 سنة ، نفس الصور على الحيطان ، ها هي صورته يوم زفافه كما هى كأنه تركها قبل قليل ،علاقة الملابس لم تتغير. كل شيء على حاله إلا أم أنور فقد ازدادت جمالاً.

أخت الشلن حلوت رغم انها كبرت، وصدرها صار كبير ، شو القصة ، معقول بتلف من ورا ظهرى ؟ الأولاد كبروا صاروا شباب، بس مش عاجبني غير عمر، كلهم مبوزين علشان كنت مشغول وما اتصلت فيهم.

16 سنة ياه، معقول هذي السنين ، راحت زي شربة (مي) ماء؟.

جلس مع الأولاد ،يستعيد معهم سنوات طفولتهم ، وحبه الكبير لهم.

بعد ساعات ذهب الأولاد كلهم للنوم بينما انتقل أبو أنور وزوجته لغرفة النوم

- اشتقنالك يا أم أنور.

- اشتقت لي ؟ غايب 16 سنة ما بتسأل وبتقول اشتقت لي، كيف هذا الحكي بدو يركب الدماغ فهمني؟.

ولا الشقرا التي تزوجتها خلتك تنسانا؟

- له يا أم أنور العين ما بتعلى على الحاجب.

الأمريكية التى تجوزتها كان علشان الإقامة بس.

- يا سلام إقامة؟ ليش كانت حارس عليك مابتبعث ولا مليم؟ من 15 سنة ما بتسأل على أولادك.
- خلينا يا أم أنور من المعاتبات .بكره بشرح لك كل شيء.
- وفيها شرح كمان ؟ وإلك عين تقول بدك تشرح ولا بدك تدور على قصة تضحك فيها علينا؟ أكيد جاي وحابك القصة حبك.
- هلا تعالي قربي عندي، ترى مشتاق لك كثير.

ثم بدأ يلامس جسدها وهى تحاول الابتعاد عنه. قال لها

- شو يا حبيبتي ، كل ها المدة وما اشتقت لشيء.
- شو قصدك يعني؟.
- أنت فاهمة قصدي، ضمها لصدره من الخلف وأحاطها بذراعيه وبدأ يهمس في أذنها، مش قادر أصبر.

كانت همساته ودغدغاته قديما تثير فيها رغبة لا تقاوم، لكنها اليوم كالبليدة ، رؤيته وهمساته ودغدغاته لا تثير فيها أى شيء . ربما تثير فيها القرف من هذا الرجل الذي لم يسأل عنها منذ 15 عاما وجاء الآن يريد تفريغ هيجانه الجنسي. كأنني ملك له يستخدمني متى أراد. قالت له:

- عندي العادة الشهرية.
- بسيطة في طرق ثانية كثيرة، وبدأ يسحب فيها للسرير تعالي بس خلي الباقي علي.

بدأ يفرك بجسمها ، يقبلها ... حتى استسلمت على مضض .

استيقظ أبو أنور صبيحة اليوم التالى مبكراً ، شرب القهوة مع أم أنور بعد أن استحم ولبس ثيابه ثم خرج من البيت لتفقد مدينته التى غاب عنها منذ 16 عاما.

فجأة التقى بأحد الأصدقاء القدامى.

ـ أهلا أبو أنور .

وهات يا بوس

- يا زلمة (رجل) طولت الغيبة ، شو القصة

- هلا بأبو زيد هلا، صدق طول الوقت سيرتك على بالي .

يا أبو زيد ، انت اللي بيعرفك عمره ما ينساك!

- طمني شو جاي تعمل؟ راجع على طول ولا زي أهل البلد بيرجعوا يشتروا قطعة أرض ويبنوا عليها عمارة كبيرة أو فيلا وبعدين يرجعوا ؟ ترى الأولاد عندك وأمهم بستحقوا دار كبيرة يا أخي زي أبو حسن قبل سنة بنى عمارة ،القعدة فيها أحسن من ألف أمريكا ، أقول لك ، فى قطعة أرض مناسبة فى الطريق للمطار وسعرها مناسب، إذا بدك قبل ما حدا يشتريها ، ترى إنت أنسب واحد للأرض.

- والله ما تقصر يا أبوزيد .امهلني كم يوم وأنا برد عليك إن شاء الله.

تجول أبو أنور فى البلد ، فانبهر ،بحركة العمران الكبيرة فى البلد ، هذه عمارة أبو فلاح وهذه عمارة أبو السعيد وتلك فيلا لابن الصويص... بدأ يفكر وهو ينتقل بسيارة الأجرة.

لكن هؤلاء كلهم أغنياء فى أمريكا، أنا فين وهم فين؟.

قال ابني عمارة قال ! طيب أنا راجع تذكرتي اشتريتها دين حتى هدايا الأولاد لم أشتريها . الناس بتفكر أنه كل واحد فى أمريكا مليونير، بس يا أبو أنور إنت في أمريكا من 16 سنة ولم توفر دولارا واحدا.

آخ لو لم يبلوني الله بالقمار لكنت أنا فوق الريح، ملعون أبو الكاسينو واليوم اللي بديت فيه أروح عليه. كله من صحبة الناس الغلط، لعنة الله عليك يا حسام إنت اللي شجعتني وعلمتني القمار! .

برضه يا أبو أنور أنت السبب ، كان بإمكانك ترفض ، كيف أبو فلاح، بشتغل ليل نهار ولا بروح على كاسينو ولا غيره.

لم يتوقع أبو أنور ما طرأ على البلد من تغيير وما طرأ على الناس يبدو أن العالم يتغير أسرع مما توقع، بعض الناس تغيرت ملامح وجوههم . بعض الأصدقاء ابيضت شعورهم بعدما كانت سوداء، بعضهم انتقل للعالم الآخر منذ سنين، أطفال الأمس أصبحوا شبابا ، يسرحون ويمرحون حاملين على عاتقهم هموم الوطن والشعب والمستقبل الغامض.

عاد أبو أنور للبيت ليتناول مع زوجته والأولاد طعام العشاء ويقضي معهم عدة ساعات . قال لهم قبل النوم أنه سيأخذهم بعد غد ليشتري لهم بعض الهدايا ، ثم ذهب لينام فقد شعر بالارهاق من كثرة اللف فى البلد.

استيقظ مبكراً صبيحة اليوم الثالث، شرب فنجان القهوة ثم قال لأم أنور:
- سأذهب اليوم لشراء بعض الحاجيات، ذهب لشنطته حمل منها بعض الأوراق وغادر البيت.

تأخر أبو أنور مساء ذلك اليوم ولم يعد حتى منتصف الليل قلق عليه الأولاد ، واقترحوا تبليغ الشرطة التي بدأت بالبحث عنه. ذهبت أم أنور لتنام فلم يعد يقلقها غيابه قالت في سرها:
- بقص شعري إذا ما عملها مرة ثانية؟.
اتصلت الشرطة بهم صباحا وقالت لأنور :

- احنا آسفين بس معلوماتنا بتقول إنه خرج من المطار قبل ساعات متوجها للولايات المتحدة .
- شو أبوي سافر؟

لم يعرف ماذا يقول شكرهم وأغلق الخط .

سألته أمه ما الخبر؟ قال لها:

- عملها يما

بدأت الأم تتمتم : " يا رب ما أكون حامل من الليلة المشئومة" .

سألها أنور ماذا تقول، قالت له :

- لا شيء ، لاشيء.

الخيانة تبدأ من هنا

كان علي منذ اشترى جهاز الحاسوب الجديد (الكمبيوتر) وربطه بالشبكة الدولية (الإنترنت) نادراً ما يستخدمه ليتصفح به بعض المواقع الإخبارية التى أصبحت الفضائيات العربية تسد مسدها، حتى إن زوجته سناء كانت تقول له أحيانا:

- لا أدري لماذا اشتريت هذا الجهاز؟ فأنت لا تستفيد منه شيئاً.

لم تكن سناء زوجة علي تهتم بالكمبيوتر ولا بالإنترنت ولكنها أحياناً كانت تستخدمه للألعاب لتتسلى به حتى يعود زوجها من العمل.

هذه الحال لم تدم طويلا فسرعان ما بدأ علي يزداد اهتماما بالإنترنت، وصار يقضي الساعات الطوال منشغلا به، بل وصل به الأمر أن يترك زوجته وحدها حتى ساعات متأخرة من الليل بينما هو مشغول على الشبكة (النت) يراسل أصدقاءه ويحادثهم بواسطة آلة يضعها على رأسه "Headphone" لئلا يسمع صوت أصدقائه أحد وكان كلما سألته سناء لماذا تضع هذه السماعة على رأسك؟ يقول لها:

- حتى لا أزعجك يا حبيبتي بسخافات أصدقائي وكلامهم التافه أحياناً.

- ما دام تافها فلماذا تستمع له حتى منتصف الليل؟

- لأنى أفضل أن أتحدث معهم وأنا بجانبك، بدلا من السهر معهم فى المقاهي. على كل حال سأقلل من ذلك قريباً.

كانت سناء تضطر أخيرا للصمت حتى لا تزيد رقعة الخلاف بينها وبين زوجها علي الذى بدأت تتذمر منه ومن جلوسه الطويل أمام هذا الجهاز اللعين.

- لقد مللت الجلوس وحدي يا علي

- حبيتي، سأنهي ما أنا به قريبا وأكون معك، شاهدي مسلسل الليلة على قناة الدراما، إنه مسلسل شيق.

لم يكن مهما لدى سناء ماذا يفعل علي على النت بقدر ما كان يقلقها بقاؤها وحدها:

لم يعد علي يحاورها كما كان سابقاً، لم يعد يتحرش بها ، يعانقها يقبلها، حتى الأمور الأخرى أصبح نادراً ما يسأل عنها. لو كان الكمبيوتر امرأة لشكت بالأمر لكنه جهاز لا مشاعر ولا أحساسيس فيه.

كانت سناء تتساءل كل ليلة:

- ما الذي يشغل علياً عني كل هذه المدة؟

هل الأخبار؟ لماذا لا يشاهدها على قناة الجزيرة؟

هل قراءة الرسائل؟ لكن كم رسالة سيقرأ؟ هل عنده ألف صديق؟

لا لا غير ممكن؟ أن يكون له صديقات.

هذا زوجى وأنا أدرى به.

لكن لماذا هذا الانشغال عني الذى وصل حد الإهمال؟

لابد أن أكتشف هذا العالم الغريب.

أصبحت سناء كل ليلة تجلس فى غرفة الكمبيوتر بجانب زوجها تقرأ ما يقرأه على النت لكنها لا تسمع ما يسمعه، وقد لاحظت أنها عندما كانت تدخل عليه يتوقف عن الحديث. ويبدأ بالتنقل من موقع إلى موقع ليوهمها أنه مشغول بالقراءة كأنه عالِم كبير.

لم يتوقع علي أن زوجته ستظل بجانبه كل الوقت، فبدأ يفكر بالتخلص منها من خلال إقناعها بأن مشاهدة الأفلام أفضل لها من الجلوس بجانبه. لكنها كانت تقول له دائماً:

- مشاهدتك يا حبيبي أفضل من كل شاشات العالم. أخرسته بكلامها فبدأ يفكر بطريقة أخرى:

- حبيبتي، هل لك أن تحضري فنجانين من القهوة لنشربها معا ونحن هنا.

-تأمر يا روحي، سأحضر لك أحلى فنجان قهوة.

- لا تنسي أن تضعي اصبعك فيه فأنا أحب القهوة حلوة. ابتسمت سناء وكأن عليا بكلامه المعسول أرضى غرورها. لكن بعد أن تأتي بالقهوة كان يعود ويسألها:

- هلا أحضرت كأساً من الماء.

وبعد قليل يقول لها:

- حبذا لو تحضرين لي ساندويتشا فأنا أشعر بالجوع. أفضل أن تقلي لي بيضا مع الجبن.

وعندما كانت تقول له:

- لكنك تعشيت يا علي.

كان يقول لها:

- عندما أراك تتفتح شهيتي للأكل.

فترد عليه:

- شكراً حبيبي، وهل رؤيتي تفتح شهيتك للأكل فقط؟
- نعم، تفتحين شهيتي لكل شيء.

- هذا يحتاج لبرهان يا علي.

أحس علي بلطمة، يبدو أنه نسي واجبه كزوج وتساءل فى نفسه
- هل أصبحت سناء تشك برجولتي؟!
هل أصبحت تعتقد أنني بارد جنسياً؟.!

لم يكن صعبا على سناء أن تعرف بعد عدة أيام أن زوجها لا يطلب القهوة والماء والعشاء.. إلخ إلا كلما جاءت تجلس بجانبه، وكأنه يتعمد إبعادها عنه ربما لأنه لا يريدها أن تعرف ما يفعله أو ما يقرأه أو ما يحدث به أصدقاءه، خصوصاً وأنه لم يكن يشرب شيئا، وأحياناً عندما كانت تذكره أن فنجان القهوة أصبح بارداً، كان يطلب غيره معتذراً لانشغاله، لكنه لم يكن يشرب حتى الفنجان الجديد إلا مجاملة أحياناً حتى لا يثير شكوكها.

بدأت سناء تفقد أعصابها، وبدأ الفأر يلعب فى عبها، وصارت تتساءل وهي وحيدة أمام شاشة التلفزيون:
- ما الذى يحدث مع علي؟ كلما جئت أجلس بجانبه يحاول إبعادي عنه بطلباته المتكررة وعندما أتركه وحده لا يطلب شيئاً.
هل أصبح يكرهني؟
هل يريدني أن أبتعد عنه؟
ألم أعد مثيرة له؟ لم يمض على زواجنا سوى عامين.. أم ترى يعاني من برود جنسي؟
لم أعد أشعر بحرارة اللقاء معه، يأتى أخر الليل وأنا نائمة لينام دون أن يحاول أن يضع يده علي. هل تراه يحب امرأة أخرى؟

بدأت الغيرة تدب فى نفس سناء من جهاز الحاسوب وقررت أن أفضل طريقة لتخليصها من هذه الوساوس، حل لغز هذا الحاسوب وتعلم كيفية استخدامه. فبدأت من خلال صديقات لها تتعلم كيفية استخدامه. وفك أسرار هذا الجهاز اللعين، ولم تكتف بذلك فقد التحقت بدورة خاصة باستخدام الإنترنت والبريد الإلكترونى وبرنامج الوندوز حتى تفوقت على علي الذى استغرب اقتحام زوجته لعالمه الخاص فعمل على تقسيم واجهة الكمبيوتر (desktop)إلى واجهتين وربط واجهته بكلمة مرور خاصة حتى لا تعبث بأسراره.

لم يكن صعبا على سناء بعد ذلك أن تكشف أن زوجها كان يقضي وقتا طويلا على الشبكة يحادث النساء ويغازلهن، بعضهن بكلام عاطفي وأخريات بأبشع الكلمات الجنسية المثيرة. اقتحمت بطريقتها ملفات له وقرأت بعضها وفوجئت بما لم تتوقعه ، لكنها لم تنفعل وحافظت على هدوئها وقررت ضبطه متلبساً.

ذات مساء قالت له:
- حبيبي ما دمت مشغولا الآن، أريد الذهاب للسوق لشراء بعض الحاجات، إذ ينقصنا الكثير من الخضار والفواكه، وسأمر فى طريقي عند شيريهان لأشرب معها فنجانا من القهوة.

لم يصدق علي ما سمعه، فقد كان يتمنى أن تخرج زوجته من البيت مهما كانت الأسباب. قال لها:
- افعلي ما ترينه حبيبتي، كان بودي أن أكون معك لكني مشغول الآن.
نهض علي ليقبل زوجته ويغلق الباب جيداً بعد خروجها قال لها وهي على أهبة الخروج:
- حبيبتي، اتصلي بي وأنت فى الطريق للبيت، فقد أحتاج لشيء ما لا أتذكره الآن لتشتريه من أحد المحلات القريبة.

- حسنا حبيبي، تأمر يا روحي.

غادرت سناء البيت إلى إحدى البقالات الكبيرة وحرصت أن تمضي هناك وقتا طويلا تنتقل من قسم إلى قسم ولم تترك ثلاجة أو فريزر إلا وفتحتها وفى الطريق للبيت بعد ساعتين اتصلت به لتسأله إن أراد شيئا فقال لها:
-شكراً سناء، أعتقد أنني لا أريد شيئا الآن سوى رؤيتك.

كان علي سعيداً بعد عودة زوجته، شاكراً زوجته على هذه الفكرة الرائعة فقد كان بحاجة لمشاركتها صحنا من الفاكهة كما قال ومشاهدة التلفزيون الذي انقطع عنه طويلا.
لم يكن علي يعرف أن تلك الليلة ستكون حاسمة فى حياته وأنه سوف يتمنى لو لم تكن.

مساء اليوم التالي من تلك الليلة التى تركته فيها زوجته وحده، حضر علي ليجد زوجته بانتظاره بملابسها الجميلة وكامل أناقتها كأنها فى حفلة زفاف وعندما فتحت له الباب قالت له:
- جئت بالوقت المناسب، العشاء بانتظارك
- كنت أتمنى مشاركتك العشاء وأنت بهذه الطلة، لكني للأسف لا أشعر بالجوع الآن.
- حسنا يمكنك الجلوس معي أريدك فى شيء هام.
- سناء أنا مشغول شوية، سأكون جاهزاً لك بعد ساعة من الآن.

دخل غرفة الكمبيوتر (الحاسوب) على الفور، ضغط على زر التشغيل وبعد دقيقة، ذهب إلى سناء وهي تتعشى وتستمتع للموسيقى الهادئة.
سألها بغضب:

- ماذا فعلت بجهاز الكمبيوتر؟

أجابته بهدوء:

- هل حصل شىء، واجهة الحاسوب الخاصة بي تعمل على ما يرام، لقد أرسلت رسالة منذ قليل لصديقتي أحلام.

- سناء، لا تغيري الموضوع، أقصد الواجهة الخاصة بي.

- ألم يكن لك كلمة مرور لا يعرفها أحد سواك؟

- سناء لا تزيدي غضبي.. ماذا فعلت بالحاسوب؟

- اسأل نفسك (قالتها بغضب) ثم أكملت

- يا غشاش ، يا خاين

- ما الذى أسمعه، هل فقدت عقلك يا سناء؟

قالت له وهي تمصمص شفيتها مقلدة بعض ما كان يقوله لإحدى النساء.

- أنت ملاكي الذى لا أستطيع العيش بدونه. آه لو أضع رأسي بين نهديك وأخسر نصف عمري.

أحس علي بورطة بعد أن سمع ما تقول، لقد أدرك أن زوجته اقتحمت ملفاته وقرأت ما بها .

أراد أن يعيد التوازن لنفسه.

- ماذا بعد قرأت في رسائلي؟!

- هل تريد أن تعرف؟

فجأة هبت من مكانها وأحضرت مسجلا صغيراً كان معدا وفيه الشريط الذى سجلت عليه كامل حديثه مع عشيقته دون أن يدري فى تلك الليلة التى غادرت البيت للتسوق.

ضغطت سناء على زر التشغيل بدأ صوت على واضحا من المسجل يخاطب عشيقته.

- ما هذه الطلة الحلوة يا نبيلة؟
- طلتك أحلى يا علعل (تدلع به عليا)
- الصورة غير واضحة يا روحى، ابتعدي قليلا، الآن أوضح، أوه ما هذا الصدر الجميل؟
- كأنك لم تره من قبل.
- كلما أراه أزداد انتعاشا، آه لو أضع رأسي بين نهديك وأخسر نصف عمري.
- يا كذاب (قالت له عشيقته)
- والله العظيم، وحياة حبنا..

لم يحتمل علي، ثارت ثائرته فأوقف المسجل، كان كالمسطول، لا يعرف ما يقول، أو كأنه يبحث عن إجابة يبرر فيها جريمته. لم يكن يتوقع أن زوجته ستكون بهذا الذكاء لتسجل حديثه مع عشيقته عبر الماسنجر. هذا آخر ما توقعه.

أخرج علي الشريط من المسجل وكسره ثم قطع الشريط وألقى به فى الزبالة. قالت له بهدوء:

- هل أخفيت جريمتك بكسر الشريط؟ هل ستنكر خيانتك بتكسير الشريط؟ لا تقلق عندي نسخة أخرى، كنت أتوقع أن تعاقب نفسك على خيانتك. أنسيت الأيمان التى كنت تحلفها لي بأنك تحبني، وإنني الحب الوحيد فى حياتك؟ لماذا تزوجتني ما دامت الخيانة تسري فى عروقك؟
- سناء هذا يكفي، أنا لم أخنك.
- كل هذا ولم تخني، أنسيت ما تطلبه منها بأن تخلع قميصها لترى..
- سناء والله العظيم لم أخنك..كل ما سمعته لم يتجاوز هذا الجهاز.

- كيف لي أن أصدقك؟ بعد أن أخفيت عني نزواتك حتى اكتشفتها أنا؟ كيف لي أن أصدق أن المرأة التى توافق أن تخلع لك ملابسها أمام كاميرا الحاسوب، لم تمارس الجنس معك؟

- والله العظيم لم يحصل أي شىء مما تقولين عنه.

- لنفترض أنك صادق في ذلك ، فهل هذا ينفي الجريمة عنك؟.

- أية جريمة؟

- جريمة الخيانة.

- لم أخنك يا سناء.. نزوة رجل عابرة.

- صدقيني لم ألتق مع هذه المرأة ولا أعرف سوى اسمها الذي قالته لي ولا أدري في أي بلد تعيش.

قالت له بعد أن استجمعت ثقتها بنفسها:

لا فرق يا علي إن التقيت بها أو لم تلتق فقد مارست الخيانة الزوجية، فالخيانة ليست جنسية بحتة يا علي.

ثم نظرت إليه نظرة آمر وقالت:

الخيانة تبدأ من هنا وأشارت بأصبعها إلى رأسه، الخيانة تبدأ فكرية من العقل.

فعندما تشتهي امرأة أخرى وتفكر بها وتعطيها مساحة واسعة من تفكيرك واهتمامك فأنت مارست الخيانة كاملة وما بقي بعد ذلك مجرد رتوش على هامش الخيانة.

أطرق علي رأسه، بعد أن أذهله جوابها تمنى لو انشقت الأرض وبلعته، لم يدر ماذا يقول أو ماذا يفعل.

هل يلعن جهاز الحاسوب؟ أم يلعن النساء أم يلعن من علم زوجته كيفية استخدام الحاسوب أم يلعن نفسه؟ ما الذى يفعله بنفسه؟ يضيع الوقت فى حوارات مع نساء خائنات مثله، وزوجته الجميلة على بعد أمتار منه؟

هل يحطم جهاز الحاسوب؟ أم يحطم شهواته وأنانيته.

نظر إليها بعد فترة من الصمت وقال:
- سناء أعتذر لك عن كل ما حصل. أنا مذنب، ارتكبت جريمة. يبدو أنني كنت أبحث عن باقة ورد في حديقة الجيران ناسيا أننى أعيش وسط بستان من الزهور والياسمين. حبيتبي، هل بقى بقلبك بعض الحب لي؟
لنفتح صفحة جديدة من المحبة.
مد يديه لها ، بكت بمرارة وقالت:
- لقد حطمت كل حب في قلبي، لكنه لا زال يقاوم.
لحظة صمت من الطرفين.

وقف علي وتقدم نحوها، جلس بجانبها ضمها لصدره بحرارة، طوقها بيديه بقوة ألقت برأسها على صدره وهى تبكي بغزارة قال لها:
- حبيبتي إن كانت الخيانة تبدأ من هنا وأشار إلى رأسه، فإن الحب والوفاء يبدأ من هنا وأشار إلى رأسها.

حلم لن يتحقق

كانت الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية حلماً لدى سامر ظل يراوده سنوات طويلة حتى تحققت أخيرا بقدرة قادر، كأن الله استجاب له أخيراً لكثرة دعائه بأن يوفقه للهجرة إلى بلد الحرية والديمقراطية كما كان يقول، بلد النساء الجميلات الفاتنات ، والدولارات الخضراء تتطاير هنا وهناك تبحث عمن يلتقطها.

كان سامر سعيداً جداً بعد أن استقر به المقام فى ولاية نورث كارولينا المطلة على المحيط الأطلسي، ذات الجبال المتعرجة التي تشبه جبال لبنان الخلابة التى قرر سامر هجرتها لأنها لم تعد بلد الحرية والجمال كما كانت فقد شوهتها الحرب الطويلة وطمس الفقر فيها كل إحساس بالامان وزادت العنصرية البغيضة الشعور بالخوف من المصير المجهول لبلد تتناحر فيه المصالح لابسة عباءات الطوائف .

لم يمر وقت طويل حتى تزوج سامر الأمريكية الشقراء سندي التي تبدو أنها سحرته بجمالها واستقر به المقام معها فى شقة جميلة في ضاحية من ضواحي مدينة ونستون سالم فى ولاية نورث كارولينا والتي يتكاثر فيها العرب. وعندما أنجبت زوجته طفله الأول كاد يطير من الفرح. فكر طويلا ماذا يسميه حتى قرر أخيراً أن يسميه سام وكان يقول لأصدقائه العرب بأن اسمه سامي.

كان الطفل مزيجاً من الوالدين، وجهه يشبه أباه وعيونه زرقاء مثل أمه. فكان بذلك يجمع بين الشرق والغرب فى شكله ونسبه.
قال سامر لاصدقائه:
- هذا الولد سيكون له مستقبل كبير فى هذه البلاد.
وعندما ضحكوا قال لهم:
- لم لا يكون خليفة جورج بوش في المستقبل؟!.فهو مولود في الولايات المتحدة ، عيونه زرقاء ، اسمه سام، وأمه أمريكية بيضاء.
- ولماذا نسيت أباه؟.
- أبوه لبناني ولبنان بلد المحبة والسلام.
ثم أضاف سيكون سام أفضل من يرسي السلام فى العالم ويمنع انتشار الأسلحة النووية والكيماوية وغيرها من دون حروب وسفك دماء.
وقف برهة ثم قال:

- لعل ما يخفف الحروب فى هذا العالم هو أن تتزاوج الشعوب بعضها من بعضها الآخر كما فعلت أنا فيكون الأبناء ذا نسب مزدوج فتقل العداوات.

اليوم عيد ميلاد سام، الرئيس الأمريكي القادم بعد أربعين سنة. هكذا كان سامر يقول فى نفسه، قرر هو وزوجته إقامة احتفال صغير له في البيت دعوا إليه بعض الأطفال وأهاليهم حيث أطفأ الصغير شمعته الوحيدة وهو يضحك ويصفق وغنى له بقية الأطفال مع أهاليهم أغنية عيد ميلاد سعيد (هابي بيرثدي تيو)،والتقط سامر بالمناسبة عشرات الصور لسامر وضيوفه الحلوين.
وما إن جاء صباح اليوم التالي حتى طار إلى محلات تحميض الصور لتحميضها وطباعتها،كان ينتظر الصور بفارغ الصبر، حتى يرسل بعضها لوالديه وأقاربه فى لبنان ليروا صورة سامي الذي يستطيع بجواز سفره الأمريكي أن يزور كل الدول العربية من دون عراقيل ولا حتى فيزا فيما فشل أبوه بزيارة أي منها لأنه لبناني عانى ما عاناه من فقر وتشرد.

هل يستطيع مسئول الأمن أن يقول لا لسام الذى توحى عيونه الزرقاء أنه واحد من الأوربيين والأمريكيين الذين تتهافت دولنا العربية على كسب رضاهم. غداً سيحاولون كسب رضاك يا سام عندما تكون أول رئيس أمريكي من اصل عربي .. نعم سينتخبونك رئيسا لهم ، لم لا؟

العنصرية؟ لا ليس في هذا البلد عنصرية فها أنا قد نزوجت فتاة جميلة ، رائعة، من دون اعتراض من أهلها ، أين هي العنصرية؟ العنصرية عندنا فأهل الخليج يكرهون العرب الآخرين، والمصريون يكرهون السودانيين ويعاملونهم باحتقار ونحن اللبنانيين نكره السوريين والفلسطينيين، والعراقيون يكرهون الكويتيين وهلمجرا.

سنثبت لهم يوما ما أن الديمقراطية في هذه البلد بخير وأن العنصرية ما هي إلا وهم في رؤوس الحاقدين على أمريكا.

جاء وقت استلام الصور، سأذهب إلى المحل لاستلامها، يا الله كم ستكون سعيدة أمي عندما ترى حفيدها الأمريكي، لا تخافي يا أمي بعد اليوم فلن تستطيع إسرائيل أن تقصفكم لإن سام عندما يصبح رئيساً سيلزمها احترام سيادة الدول الأخرى وسيمنع عنها المساعدات إذا اعتدت على جيرانها وسيجبرها على الإنسحاب من أراضي العرب التي احتلتها عام 1967 وإعادة الفلسطينيين اللاجئين في لبنان إلى بلادهم.

وصل سامر إلى محل الصور، دخل على الموظفة، قدم لها الوصل وانتظر بشوق استلام الصور . ذهبت الموظفة تبحث عن الصور، لكنها عادت تطلب منه الانتظار عدة دقائق أخرى لأن الصور لم تجهز بعد.
- لا بأس قال لها سأنتظر هنا.
جلس على كرسي الانتظار وبدأ يتساءل لماذا تأخروا عن الموعد ربما كانوا مبهورين بصور سام، فعلا عيونه تسحر من رآه! سبحان الخالق، هذا الطفل كل من رآه قال لي، هذا الطفل يشبه بجماله البنات(!!) لماذا البنات؟ هل البنات فقط اللواتي يتمتعن بالجمال؟ الجمال ليس له علاقة بالجنس ولا حتى اللون .. لا لا اللون جزء من الجمال ، لا يمكن أن تكون العيون البنية أجمل من الزرقاء ولا اللون الأسود الداكن أجمل من الأبيض.

فجأة قطع حبل أفكاره دخول أفراد من الشرطة المحل فاستقبلتهم الموظفة وأشارت إليه. تقدم منه أحد افراد الشرطة الثلاثة قائلا:
- ألديك بطاقة(رخصة سواقة)؟.

- نعم، وناولهم إياها ، ما الذي فعلته قال لنفسه ، هل كنت مسرعا وأنا فى الطريق؟ سألهم ما الأمر فقالوا له أنت متهم بانتهاك طفل جنسياً ، سنأخذك معنا للقسم.

صرخ بهم:

- وت (ماذا) أي طفل؟.
- ستعرف ذلك بالقسم ، ثم أضاف الشرطي ، أنت الآن رهن الاعتقال وبالفعل وضع القيود بيديه ونقلوه لقسم الشرطة .

فى قسم الشرطة ، قدموا له صورة وهو يقبل مؤخرة ابنه سام، كانوا قد حصلوا عليها من الاستديو. دقق سامر بالصور أمامه فرأى صورته وهو يقبل ابنه صرخ فيهم:

- هذا ابني ، ابني سام، كان يوم أمس عيد ميلاده الأول وهذه صورنا معه، كنا نحممه أنا وأمه سندي، هذه صورة يبدو أن سندي صورتنا وأنا أقبله فرحا به. هل تعرف ماذا يعني الابن لأبيه . إنها مجرد تعبير عن سعادة. لكن المحقق قال:
- آسف سيد سامر ، هذا ليس من اختصاصي ،أنا مضطر لتقديمك للقاضي غداً وهو صاحب الكلمة الفصل.
- ماذا تقول ؟ قاضي؟ عندما يقبل رجل ابنه تريد تقديمه للمحاكمة.
- أنت تقبل مؤخرته ، هذا انتهاك جنسي.
- قلت لك . إنه ابني وعمره سنة واحدة ، أي انتهاك جنسي سأله المحقق :
- هل عادتكم في بلاد العرب تقبيل مؤخرات أولادكم ؟ وحتى أي سن يسمح لكم تقبيل المؤخرات .. و(ابتسم هازئاً)؟.
- لا أسمح لك بهذه الشتائم.

فقال له المحقق ، ما هو رقم هاتف البيت أريد إحضار زوجتك لأسمع رأيها.

بعد أن حصل المحقق على رقم هاتف بيت سامر اتصل بزوجته سندي طالبا منها الحضور للقسم لأن زوجها معتقل هناك بتهمة انتهاك جنسي.
لم تصدق سندي ما سمعت فحملت طفلها معها وانطلقت بسرعة إلى قسم الشرطة، وعندما سمعت الحكاية انفجرت في المحقق ..

- ما هذه السخافات التي تتهمون سامر بها؟.

لقد كان سعيداً وهو يحممه وعندما انتهى من الحمام وحمله بالمنشفة بدأ يقبله في كل أنحاء جسمه ومنها مؤخرته ، كنوع من الدعابة فالتقطت له صورة دون أن يدري.
قال الشرطي الذي يجلس بجانب المحقق:

- ألم تلاحظي إنه يحب الشذوذ الجنسي؟

غضبت سندي..

- اللعنة عليكم وعلى أسئلتكم السخيفة ، تريدون أن تشوهوا صورة زوجي ، هل هذا ما تضيعون وقتكم فيه؟ أليس لديكم ما هو أهم لتعملوه؟ لماذا لا تحافظون على أمن البلد وتلاحقون اللصوص والمخدرات ...؟

قاطعها الشرطى غاضبا بعد أن ضرب يده على الطاولة..

- أنت تتسترين على جريمة ويمكن أن تواجهي عقوبة السجن معه وفي هذه الحالة سنأخذ الطفل منك.
- ماذا تقول؟ تأخذون ابني؟ يا مجرمون ، لا لا أستطيع تحمل استفزازاتكم أريد الاتصال بمحام الآن فوراً لم أعد أثق بكم بعد الآن، الآن عرفت لماذا يقول المغتربون العرب هنا إنهم يواجهون العنصرية والتمييز . بسببكم أنتم.

تدخل المحقق لتهدئة الموقف وقال لها ، حسنا يوجد هاتف فى الغرفة الأخرى يمكنك الاتصال بمحام لأننا لن نفرج عن سامر حتى نعرضه على القاضي يوم غد وهو حر في أن يفرج عنه أو يأمر باعتقاله.

اتصلت سندي بالمحامي الذي تعرفه وشرحت له الأمر فطلب منها أن تغادر القسم للبيت، انتظاراً لجلسة المحكمة وأن لا تجيب عن أسئلة المحقق إلا بوجوده وتوصي زوجها بذلك.

فى اليوم التالي يطالب المحامي باسم موكله الافراج عنه شارحا لهم ملابسات الحكاية، وقد أكدت زوجة سامر أقوال المحامي وقالت إنها تحب زوجها وإنه مثال للعربي الطيب الذي يحب زوجته وبيته، لكن الادعاء العام يصر على التهمة ويقول بأن المتهم يقبل ابنه بشكل يوحي بأنه يعشق ممارسة الجنس مع الأطفال . لم يصدق سامر ما يسمع، يتهمونه بابنه الذى أحبه أكثر من نفسه، يصفونه بأبشع التهم، إنهم يقتلونه ، يدمرون أعصابه لم يعد يقدر على الكلام، ذرف دموع الألم والإحساس بالظلم والإهانة.

بعد جدال طويل بين الادعاء والمحامي بوجود القاضي قرر القاضي إرضاء الطرفين وأصدر قراره التاريخي.

- حكمت المحكمة على سامر .. أن يكون تحت المراقبة لمدة 3 سنوات يلتزم خلالها أن لا يكون مع الطفل سام وحدهما إذ يجب على الأم سندي أن تكون موجودة وإذا اضطرت للخروج من البيت عليها أخذ سام معها!.

شوربة خضار بالخنزير

في أحد المطاعم اليونانية فى مدينة شيكاغو الأمريكية، جلسنا أنا وصديقي لتناول طعام العشاء والحديث في أمر الرحلة المشتركة التى قررنا أنا وإياه القيام بها مع زوجتينا وأولادنا في صيف عام 1999.

سألَنا السفرجي إن كنا نفضل السلطة أم الشوربة فاخترنا شوربة الخضار لأهميتها للمعدة،حيث تسهل عملية الهضم.

لحظات حضرت الشوربة. كانت رائحتها لذيذة، تفتح الشهية للأكل فهجمنا عليها كنهمين جائعين. ما إن تناولت الملعقة الأولى حتى قفز صديقي صارخاً:

- توقف لا تأكل وأمسك يدى قبل أن تصل الملعقة إلى فمي.

توقعت أن الأكل مسموم وأننا كنا ضحية مؤامرة، أو ربما اكتشف صديقي جمال فأراً أو صرصوراً في الشوربة.

بدأ جمال بالصراخ مناديا السفرجي، فاتجهت إلينا أنظار كل الزبائن مشمئزين من طريقة صياح صديقي، خصوصاً وأنه عربي غير مقبول حتى لو لم يصرخ أبداً.

الحق أن صديقي فقد توازنه، سألته ما الأمر؟ لكنه كان مشغولا في مناداة السفرجي حتى حسبت أنه سيهجم عليه عندما يحضر، فهيأت نفسي لإيقافه لو حاول ذلك.

جاءنا السفرجي مسرعا ومذهولاً.

- ما الأمر؟ هل تحتاجون شيئاً؟
- كيف يا غبي تحضر لنا شوربة فيها لحم خنزير؟ ألا تعرف أننا مسلمون ولا نأكل لحم الخنزير وأن أكله حرام يعرضنا للعقاب الإلهي؟ لماذا لم تقل لنا أن شوربة الخضار عندكم بخلاف كل المطاعم فيها لحم خنزير؟

لم يترك صديقي للسفرجي فرصة للرد، وكان صوته مزعجاً ومنفعلاً فحاول السفرجي تهدئته:
- آسف لما حصل، لا أعرف أنكم لا تأكلون الخنزير، ولم تسألوني إن كان بالشوربة لحم خنزير، سأخصم ثمن الشوربة من الفاتورة.

- أريد مدير المطعم الآن، قاطعه صديقي.
- حسنا سأدعوه لك.

ذهب السفرجي لإحضار المدير من مكتبه فقلت لصديقي:
- طول بالك، ليس هكذا تحل الأمور، ولم يرتكب السفرجي جريمة، كان علينا أن نسأله قبل ذلك.
- في كل المطاعم التي دخلتها فإن شوربة الخضار ليس فيها لحم خنزير.
- كل مطعم له طريقته في تحضير الأكل، توكل على الله وهدئ من غضبك.

حضر المدير وكان بشوشا والأهم من ذلك كان حليماً في معالجة الأمر، امتص غضب صديقي ببسمته وسماعه لشكواه، في الختام قال لنا:
- أعتذر عما بدر منا وقررنا أن تكون وجبتكما على حساب المطعم.

وقبل أن يتفوه صديقي بكلمة قلت له:
- شكراً قبلنا اعتذاركم.

بعد دقائق كنا نلتهم بقية الأكل الذي أحضرته سفرجية أخرى. وكنت خلال تناول العشاء أحاول أن أقنع صديقي بغلطته حتى اقتنع أخيراً، ثم انتقلنا للحديث عن الرحلة المحددة بعد يومين فاخترنا بعد تفكير الذهاب إلى "وسكانسن دلز" وهي منطقة تبعد عنا 3 ساعات بالسيارة، ولكنها منطقة جميلة تكثر فيها الألعاب المائية لمختلف الأعمار، وهو ما يريده أطفالنا. قبل أن ننهي الحديث عن الرحلة فجأة دخل إلى المطعم فتاتان الأولى رفيعة وطويلة والثانية أقل طولا لكنها ممتلئة الجسم ونهداها بارزان بشكل ملفت للنظر. ما إن وقعت عينا صديقي عليهما حتى هب واقفا ملوحاً بيديه.
- ساندي، وتس أب (كيف الحال يا ساندي)
- نَت متش (لا جديد يا جمال)، لنج تايم نوسي (لم أرك منذ مدة طويلة)، ردت عليه الفتاة الممتلئة وهجمت عليه تعانقه كأنهما عاشقان التقيا بعد فراق طويل.
- هذا صديقي كامل (قال لها جمال معرفا بي)
- وهذه صديقتي جنفر (قالت ساندي لتعرف بصديقتها). دعاهما جمال للانضمام لنا واعتبرهما ضيوفه.
أكلنا وشربنا وما إن حانت لحظة الوداع حتى طلب صديقي منها أن يسهرا معا فوافقت بشرط أن يكون ذلك بعد يومين لأنها قبل وبعد ذلك ستكون مشغولة جداً.
- موافق ،قال لها جمال، وأكمل حديثه:
- وهل ستشاركنا جنفر السهرة؟.
- لم لا. قالت جنفر، سأكون سعيدة بالمشاركة ثم استدارت لي وسألت:
- وماذا عن كامل هل ستأتي؟.
- أنا أعتذر ،قلت لها، سأكون مع زوجتي وأولادي فى رحلة إلى وسكنس دلز.

- أوه، يبدو إنني نسيت الرحلة -قال جمال- لا تؤاخذني يا كامل سنذهب في المرة القادمة، فالسهرة مع ساندي لا تعوض أبداً، وأعتقد إنك ستتفهم ذلك.

هززت رأسي موهما كمال إنني أتفهم عذره خرجنا من المطعم بعد أن دفع جمال الحساب، ودعتهم وذهبت لسيارتي، وضعت الحزام وأشعلت المحرك، وقبل أن أغادر شاهدت صديقي يسلم على جنفر التى ذهبت مثلي لسيارتها، وبقي مع ساندي وحدهما يسيران إلى سيارته. جلس هو بالمقعد الخاص بالسائق وجلست بجانبه في المقعد الآخر.
كانت سيارة جمال تقف أمامي مباشرة لا يفصل بيننا سوى الشارع الفرعي لذا كنت أراه وهو يقبلها في سيارته كالمجنون.

وضعت قدمي على فرامل السيارة وحركت محرك السيارة إلى إشارة الانطلاق، بينما كان جمال يضع يده اليسرى على نهدها الناهض ويضغط عليه بقوة، رفعت قدمي عن الفرامل وضغطت على البنزين منطلقاً بسرعة قبل أن أرى الخطوة التالية.
امتدت يدي للهاتف الخلوي، ضغطت على رقم البيت فردت زوجتي
- آلو يا كيمو
- آلو حبيبتي، جهزي نفسك والأولاد سنذهب إلى وسكانسن دلز بعد غد إن شاء الله.
- هل سيذهب جمال وزوجته معنا؟
- لا لن يذهبا فجمال مشغول جداً!!..
أرى إنها فرصة لنا لقضاء يومين رائعين مع الأولاد علنا نستعيد فيهما بعض شهر العسل الذي لم نره حتى الآن.

لعيون الكرت الأخضر

ودع أقرباءه في بيروت بعد أن حانت ساعة السفر، كان في وداع فادي مساء يوم من أيام شهر أغسطس (آب) عام 1999 أمه وأخوه وأخته وخالته. بكى وهو يعانقهم جميعا فقد كانوا كل ما له في هذه الدنيا.

قبلته خالته وفجأة دست في جيبه يدها ،كأنها كانت تدس له رسالة وداع أو صورة تذكارية، لكنه فوجئ بعد إقلاع الطائرة أنها دست في جيبه مائة دولار أمريكي. بكى تأثراً لهذا الموقف النبيل، وقال في نفسه:

- يالهذه الخالة العظيمة، هل كانت تعرف أنني لا أحمل في جيبى سوى عشرين دولارا فقط؟.

أعرف أن وضعها أتعس مني فكيف استطاعت أن تحرم أولادها من لقمة العيش لتدسها فى فمي.

سأكون ابن حرام لو نسيت لها هذا المعروف. تمتم في نفسه وقال بصمت :

- شكرا لك يا خالتي إذا وفقني الله بعمل مناسب لأرسلن لك مائة دولار شهريا حتى آخر يوم في عمرك.

كان حلما لفادي أن يهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وها هو حلمه يتحقق، وهو الآن في الطائرة المتجهة من أمستردام إلى ميتشغان .

لم يكن سهلا الحصول على تلك الفيزا فقد كافح حتى وصل لها، لم يترك طريقا إلا سلكه، من واسطة ومعرفة.. كلهم خدعوه، قبضوا الفلوس ثم اعتذروا دون أن يعيدوها إليه، لم ينقذه إلا صديق له حيث زيف له شهادات مدرسية مختومة

بخاتم حكومي رسمي تفيد أنه أنهى المدرسة بنجاح فحصل على قبول من إحدى الجامعات خولته الحصول على الفيزا.

- المهم أن أصل إلى هناك، بعدها كل شيء سيهون.

كان فادي قد قرر الطريق التي سيسلكها بعد وصوله، كان يعرف كل خطوة سيقدم عليها. الطريق صعب، ليس معبداً بالورود لكنه سيشقه مهما كانت الآلام ، كل شيء يهون عن الفقر والحرمان، كل شيء أهون من أن تكون شابا بلا وظيفة ولا عمل ولا دخل مالي، ولا أمل بالمستقبل، كل شيء أهون من البحث عن وظيفة لدى أصحاب عمل جشعين كذابين، كل شيء أهون من أن تمد يدك إلى صديق أو جار أو قريب فيردك خائباً.

آه لو كان كل الناس مثل خالتي ليال لهانت ، لكنهم نقيضها تماماً. كلما أتذكر والدي وهو مقتول في الشارع، فجرت رأسه الطلقات يقشعر بدني، أشعر إنني أريد أن أنتقم من كل المسؤولين عن الحرب والقتل، تلك التي جعلتني يتيما وأنا ابن العاشرة، وترملت أمي وهي فى سن الثلاثين . كانت صبية جميلة ، لم تسلم بعد موت أبي من ملاحقة الرجال، فهذا يريد أن يسترها وهذا يريد أن يجعلها عشيقته وآخر يريدها أن تكون زوجة متعة، وآخر قال لها لماذا تحرمي شبابك من الدنيا، ضعي الأولاد فى ملجأ وتزوجي ، لم تسمع أمي إلى أحد، وقررت تربيتنا وعدم التخلي عنا مهما كلفها ذلك من ثمن.

فى مطار ميتشغان كان صديقه شادي في انتظاره ، لم يخب أمله، فقد أخذه معه للبيت وفي اليوم التالي نقله للعمل معه فى بقالته الصغيرة حيث كانت مهمته تعبئة الثلاجات والرفوف بدل البضائع المباعة.

رحمتك يا رب، ها هو فادي يعمل في ميتشغان ، لم يضيع من وقته يوما واحداً ، وبعد أيام سيلتحق بالجامعة ليضمن استمرار الفيزا ، فقد دخل الولايات المتحدة بفيزا طالب وعليه الالتحاق بها حتى يعيد ترتيب أموره.
لم يمض شهر حتى قدم فادي أوراقه طالبا اللجوء السياسي ومنحه حق الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة.
كان هذا خيار فادي المدروس كما قال، فقد أصبح الزواج من أمريكية من أجل الحصول على الأقامة أمراً أكثر كلفة حتى من أقساط الجامعة .

الزواج لا يكلف كثيراً في أمريكا وربما لا شيء سوى الرسوم لكن مطالب الفتاة الأمريكية عالية بالنسبة له، فهي تريد السهر كل أسبوع وارتياد البارات ومحلات الرقص والمطاعم مع زوجها مما سيرهقه ، إضافة أن القانون الجديد أصبح يلزم الزوج البقاء مع زوجته مدة سنتين قبل منحه حق الإقامة، مع حق الزوجة في تلك المدة أن تلغي الإقامة عن زوجها إن شكت بنواياه أو ملت من عشرته.

كان فادي يعرف كل ذلك ويعرف أن اللجوء السياسي أفضل الطرق وها هو يلجأ لها، طريق شائكة ،معقدة، لكنه لن يرجع للبنان خالي اليدين حتى لو شنقوه.

بعد عام من طلب اللجوء السياسي ،عرف شادي من أحد أصدقائه خبراً وقع عليه كالصاعقة ، لم يصدق ما سمعه . وبدأ يتساءل:
- فادي يعملها؟ معقول؟ لا أصدق.
أنا أعرفه تماما، هل تغير بغيابي؟
حمل نفسه والتقى بفادي.
- فادي ، ما الذى أسمعهم يتهامسونه عنك؟.
- ماذا تقصد؟.
اللجوء السياسي؟.

- لم أفهم ما تقصد ، أنت تعلم أنني قدمت طلبا للجوء السياسي.
- فادي لا تهرب من السؤال ، دعني أوضح لك أكثر هل كان أبوك جاسوسا للسي أي قبل مقتله؟
- من قال لك ذلك؟
- فادي أرجوك ليس مهما من قال ، هل صحيح أم لا أرحني؟.
نظر فادي إلى صديقة شادي وبكى قبل أن يقول له:
- لا لم يكن والدي جاسوسا ، كان شريفا ، كان وطنيا يحب لبنان كان مسالماً، كان بطلاً يكافح من أجل أبنائه . افنى عمره لتربيتنا. أنا التافه الحقير، قدمت طلبا للجوء السياسى وادعيت أن والدي كان جاسوسا وقتله جماعة الحزب هناك حتى أحصل على حق اللجوء لأمريكا . لم يكن عندي خيارات كثيرة.
صمت ثم أضاف:
أعرف بأنني ارتكبت جريمة بشعة، شوهت صورة والدي فقاطعه شادي.
- ألم تشوه صورة الحزب؟.
- الأمريكان ليسوا بحاجة لدلائل ضد الحزب، فهم يعتبرونه إرهابيا منذ سنوات طويلة.
- لكنك تضيف بحقه تهما لم يرتكبها.
- كلها أوراق ستحفظ بالملف بعد الحصول على كرت الإقامة .
- وهل صدقوك بهذه السهولة؟
- لا طبعا فقد قدمت لهم صورا عن صحف تتهم أبي بالجاسوسية للسي آي إي وإسرائيل.
- لكني لم أقرأ مثل تلك الأخبار
- دبرت تلك الصحف عن طريق مزور محترف.
- أتزور التاريخ؟

- عن أي تاريخ تتحدث؟ وهل المهم أن نكتب التاريخ بصدق؟ هل المهم أن نكتب عن المجازر وعن القتل على البطاقة بصدق دون أن نتحدث عن الضحايا أنفسهم وكيف تعيش أسرهم من بعدهم؟

- خيبت ظني يا فادي، لا أوافقك على ما تفعله.

- لماذا يا شادي ، هل ارتكبت جريمة كبرى؟.

هل تريدني العودة إلى لبنان ،حيث البطالة والفقر، والمحسوبيات والطائفية العنصرية البغيضة؟.

وهل كان غيرى أفضل مني؟.

ماذا تريدني أن أفعل؟ أأتزوج أمريكية وأكذب عليها ثم بعدسنتين أطلقها؟ أليس ذلك كذبا وغشاً؟ ما الفرق بين أن تكذب على زوجة توهمها أنك تحبها وستعيش العمر معها ثم تطلقها بعد أن تحصل على كرت الإقامة الدائم أو الجنسية –كما فعلت أنت- وبين أن تدعي أن أباك جاسوس وتطلب اللجوء السياسي؟

كلنا كذابون غشاشون، أنا لست الوحيد الذي طالب اللجوء السياسي تحت هذه المبررات.

هناك فلسطينيون قدموا طلبا للجوء السياسي مدعين أن حركة حماس تلاحقهم وأنها تتهمهم بالعمالة لأنهم جواسيس. واحد من هؤلاء قال لي بأنه كان يكتب بالدهان على الحائط شعار "اقتلوا العميل... " وبعد أن يصور الشعار بالكاميرا يعمل على إزالته حتى لا يراه أحد.. شخص آخر أصدر نسخة من بيان باسم حماس اتهم فيها نفسه بالعمالة وقدم البيان للجنة اللجوء السياسي.

هل تعرف ما قاله المحامي لي فى الجلسة الأخيرة؟..

سألني هل يوجد عندكم لواطيون مسلمون؟

ضحكت وقلت له لا فقال لي:

- لا تضحك لدي عدة طلبات لأشخاص يدعون أنهم لواطيون مسلمون وأنهم لو عادوا لبلادهم سيقتلونهم ، أحد الأشخاص قال للمحامي إنه مستعد أن يأتي

بشـخص يمـارس معـه اللـواط علنـا إن كـان ذلـك هـو الطريـق للحصـول علـى الإقامة.

بصق شادى علـى الأرض وهـو يقطـب حاجبيـه وخـدوده قرفـا ممـا سـمع . وقـال لفادي..

- كل هذا من أجل كرت الإقامة؟.

هل فقدتم كل إحساس؟.

- لا لم نفقد الإحساس، لكن الشعور بالقهر هو الذي دفعنا لذلك.

عندما تلف أمي من بيت لبيت تخدم الناس لتربينا وتتعـرض للمضـايقات مـن هـذا وذاك ،وتصبر على التحرش الجنسـي لتؤمن لنـا لقمـة العـيش، مسـتعد أن أفعـل أكثر من ذلك.

أنت يا شادي تعيش هنا منذ مدة طويلة، لم تعرف كيف تسير الأمور اليوم. صمت ثم أكمل قائلا:

في العام الماضي ذهبت إلى شركة في بيروت أطلب وظيفة فوجئت أن مـديرها شخص أعرفه، استبشرت خيراً، وبعد أن طلبت منه المساعدة لايجاد وظيفة قال لي:

- آسـف يا فادي ليس عندنا وظيفـة شـاغرة الآن لكـن لـو كانـت أمـك تبحـث عـن وظيفة فيمكن إيجاد واحدة لها وابتسم بخبث.

كنت سأحطم رأسـه، لكني تماسكت وسيطرت علـى أعصـابي إذ سـأدخل بعـد ذلك السجن وتبقى أمي وحيدة مع أختي الأصغر سناً.

هل جربت ذلك يا شادي؟.

أنت هنا تعيش فى النعيم مقارنة بنا هناك.

ماذا أقول لك؟ قبل شهرين من حضورى للولايات المتحدة ، طلبت من صديق لي قرضا بقيمه 20 ألف ليرة (13 دولار تقريباً) لم يكن فى البيت شيء نأكله ، أتدري ماذا قال لي ؟

- اعتذر طبعا رد عليه شادي

- ليته اعتذر ، لكنه قال، لا أستطيع أن أقرضك يا فادي ، فكيف ستسدها لي وأنت تعيش بدون عمل.

صمت قليلا، بدأ يمسح دموعه التي تنزل على خدوده ، انفعل ثم صاح بغضب.

أعرف أنني تافه وحقير، أعرف أنني شوهت أبي، شوهت تاريخه، سمعته، جعلت منه عميلا وجاسوسا ، و... من أجل كرت الإقامة؟ عملت ذلك لأني أريد العمل هنا، عملت ذلك لغاية نبيلة، لكن قل لي ماذا عن الذين قتلوه، لماذا قتلوه؟ ماذا استفادوا من قتله؟ كان مسالما ، كان محبا للخير، لم يرفع سلاحا ضد أحد، رفض اقتتال الإخوة ونادى الجميع بتحمل مسئوليتهم ، قتلوه بدم بارد.

رحمك الله يا والدي هم قتلوك حيا..

قاطعه شادي وأكمل قائلا:

- وفادى قتلك ميتاً !

ثم نظر إلى فادي وقال له

- سامحني يا فادي، لم أقتنع بكلامك، من عرف والدك، وحبه للبنان، لن يقبل أن يسمع عنه غير ذلك،أبوك بموته لم يعد ملكا لك ولأمك، بل هو رمز لشعبنا اللبناني، رمز التسامح ، رمز للعطاء، رمز للإخاء.

قاطعه فادي، هل كتبت علينا الزمان أن نفترق؟.

فقال شادي :

- لن نصبح أعداء يا فادي، لكن لا يمكن لصداقتنا أن تتم . من الممكن للجندي أن يفر من المعركة ويغفر له، لكن أن يتحول دور الجندي في الحرب إلى تخريب جبهته الداخلية فمن غير المعقول أن يتم الصفح عنه.

- يا شادي ، يوجد مثلي كثيرون، من اليمن، من مصر، من الجزائر، سوريا، لبنان، فلسطين ... الخ كلهم يدعون أن المنظمات الإسلامية المتطرفة تلاحقهم مستغلين عداء الولايات المتحدة للمنظمات الإسلامية المذكورة، هناك نساء مسلمات يدعين أن آباءهن يغتصبوهن إن عادوا لبلادهن، هناك رجال يدعون أنهم لواطيون.

هناك أشخاص يدعون أنهم رجال سلام يدْعون للتطبيع مع إسرائيل فيتعرضون للملاحقة من جيرانهم وأهاليهم.

لماذا أنا الذى علي أن أكون الرجل القديس؟

رد عليه شادي..

- دعك من هذه الأقوال يا فادي، من يتنازل لهذا الحد يمكن أن يبيع الوطن كله من أجل مصلحته.

لا يهمني ماذا يفعل الناس ويقولون، أنا أسألك أنت ويهمني أبوك أنت لا الناس، فعندما أستوعب أن يكون أبوك جاسوسا، سوف أتصل بك.

أنت طالق يا سهام

حبيبي ابني ، لم أفرح فيك ، لماذا تركتنا يا ولدي؟ آه يا حسن يا حبيبي، لماذا ذهبت؟ هل قصرنا معك؟ هل أغضبناك؟ آه يا بني لقد تركت حسرة في قلبي

للأبد، كل أطفال العالم لن يعوضوني بسمتك الجميلة ، كنت تنير البيت والحياة، كانت الحياة بوجودك لها معنى آخر .

كان أبو حسن يبكي وينوح في المستشفى عندما عرف أن ابنه الصغير قد مات.
لم يكمل السنة، فكيف مات يا رب؟
سأل زوجته كيف يموت اختناقا وأنت في البيت؟ ألم تنتبهي؟ أين كنت؟ طبعا مشغولة مع صديقاتك في الثرثرة ، هذه تزوجت، وهذه طلقت ... هكذا أنتن ، تضيعن أوقاتكن في الكلام الفارغ.

لم ترد عليه سهام فقد أخرسها حزنها على ابنها. لكنها تمتمت بعد لحظات:
- لا اعتراض على إرادة الخالق.

- سألها لكنك أهملت بحق ابننا الوحيد
- كيف لي أن أعرف أنه سيضع الحرام على وجهه ويختنق.

خفف عنك يا أبا حسن، سوف أنجب لك عشرة غيره.

- تستطيعين أن تنجبي عشرين غيره، لكنك لن تستطيعي أن تنزعي الحزن من قلبي عليه.

ثم بدأ يبكي

مرت الأيام ، وقرر الزوجان أن ينجبا طفلا آخر يعوضهما الطفل الأول وبالفعل ، فبعد شهرين كانت سهام حاملاً من جديد وبعد مرور أشهر الحمل أنجبا طفلاً جديداً وكان ولداً أيضا .

فرح الأب وكانت سعادته لا توصف فقرر أن يسميه عبد الكريم لأن الله أكرمه به وكان يتصل بزوجته من مكان عمله عدة مرات يوميا يستفسر عن ولي عهده، لكنه فوجئ في أحد الأيام عندما اتصل بالبيت أن زوجته تبكي وتصرخ فسألها

- ماذا حدث يا سهام ؟
- مات عبد الكريم
- ماذا تقوووووولييييييييين؟
- مات عبد الكريم
- هل اتصلت بالإسعاف ؟
- نعم هم في الطريق
- حسنا أنا قادم لك

لم يطلب أبو حسن إذنا من العمل وعلى الفور استقل سيارته وتوجه للبيت بأقصى سرعة ممكنة وهو لا يلوي على شيء . في الطريق اتصلت به زوجته وأخبرته أن سيارة الإسعاف وصلت ونقلته إلى المستشفى وحددت له العنوان فغير اتجاه سيارته للمستشفى وهو يقود السيارة بسرعة جنونية .

وصل المستشفى ، صعد للأعلى بسرعة لقسم الطوارئ، وهناك سألهم عن مكان وجود الطفل فدلوه على الجناح، وصل ليجد زوجته هناك تبكي

- أين عبد الكريم؟
- ها هو

نظر إليه ولم يصدق كان يبتسم كأنه لم يمت، هجم عليه قبله، وضمه إلى صدره ، نظر لزوجته وسألها :

- كيف مات ؟ أين كنت ؟ ألم أنبهك من قبل؟
- لا تقل ذلك يا حبيبي، إنها إرادة الله

- إرادة الله ؟!

لماذا إرادته شاءت أن يموت لنا طفلان، ألا يوجد غيري في هذا العالم لينتكب بطفلين .
نظر إليها وقال بانفعال:
- أنتِ السبب لو كنت تطلين عليه كل عدة دقائق لما حصل ما حصل .
- حرام عليك ، هل هناك أم تريد أن تفجع بابنها ؟؟

غادرا المستشفى إلى البيت بعد مشاحنات طويلة على أمل أن يدفنا المولود في اليوم التالي .

في البيت انزوى أبو عبد الكريم في غرفة نومه يتفرج على صور ابنيه وهو يبكي، في تلك الأثناء اتصلت الزوجة خلسة وبدأت تتمتم بالإنكليزية بصوت منخفض ، فاعتقد إنا تخفض من صوتها حتى لا تزعجه .
- الله يساعدها ، فقدت ولدين في عامين متتاليين، لكن رغم ذلك أقول إنها مقصرة ؟؟

مساء ذلك اليوم بينما كان أبو حسن يجلس مع بعض أصدقائه الذين جاءوا للتعزية بالفقيد، طرق الباب طرقة عنيفة فذهب أحد الضيوف ليفتح الباب بدلا من والد الطفل المنهك اعتقادا منه أن الطارق جاء معزيا، ما إن فتح الباب حتى فوجئ بعدة رجال أمن شاهرين بطاقاتهم في وجه الضيف :

- إف بي آي ، هل سهام موجودة؟
- وقف أبو حسن مذعورا ، ما الخبر ؟
- نريد سهام توفيق

خرجت سهام توفيق من الغرفة الأخرى مرعوبة، ماذا تريدون مني ؟

- أنت سهام توفيق ؟؟
- نعم أنا سهام ، ما الخبر ؟

- لدينا بعض الأسئلة حول وفاة ابنك نريد إجابة عليها، جئنا لاصطحابك للمكتب .
- الآن ؟؟
- نعم الآن ويمكن لزوجك أن يصحبك إن أراد ؟

بعض الأسئلة وستعودين على الفور.

نظرت لزوجها مرعوبة، فقال لها : لا تقلقي يمكننا الذهاب لعلهم يساعدونا بشيء عن وفاته .

اعتذر أصدقاؤه الذين جاءوا للتعزية وانصرفوا بعد أن عرضوا عليه المساعدة أو توكيل محام لكنه شكرهم ، فلا شيء يستحق توكيل محام ، نحن لم نرتكب جريمة .

في مكتب التحقيق سأل المحقق الأم

- كيف قتلت الطفل سيدة سهام ؟؟
- ما هذا السؤال أنا أمه وكيف أقتله ؟؟ وبدأت تبكي
- سيدة سهام هل يوجد لزوجك بوليصة تأمين على الحياة ؟
- لا طبعا
- هل لديك بوليصة تأمين على حياتك ؟
- لا نحن نؤمن بقضاء الله
- حسنا لماذا إذن اشتريت بوليصة تأمين على حياة كل من حسن وعبد الكريم؟ كل منها بمائة ألف دولار .
- تا تا ... أمنتهم لحمايتهم ؟
- ماذا تقولين ؟ سأل الزوج الذي كان في مكتب التحقيق ، هل كان لحسن وعبد الكريم بوليصة تأمين ؟؟
- نعم أمنتهم لتأمين مستقبلهم ، ردت سهام .

- لكن بوليصة التأمين على الأطفال لا يستفيد منها الأطفال ، بل ورثة الأطفال فالبوليصة تقول أنه في حال وفاة حسن أو عبد الكريم يدفع لأمه مبلغ مائة ألف دولار ؟ أليس كذلك يا سهام ، سأل المحقق ؟
- هل هذا ضد القانون ؟ ردت سهام بينما فتح الزوج عينيه مستغربا : مائة ألف دولار ؟
- لا ليس ضد القانون، لكن لماذا لم تشتر بوليصة تأمين لك أو لزوجك حتى إذا حصل مكروه لكما يستفيد الأطفال بالمال حتى يبلغا سن الرشد ؟؟
- لم أفكر بذلك
- سيدة سهام نأسف أن نقول لك أنت رهن الاعتقال ، يمكنك التزام الصمت، لأن أي شيء تدلين به أو تتفوهين به سوف يستخدم ضدك في المحكمة، يمكنك توكيل محام للدفاع عنك.

وضعوا القيود بيديها ، صرخت:

- أنا لم أقتل، أنا لست قاتلة ؟؟

صرخ المحقق

- كيف مات حسن مخنوقا وبنفس الطريقة التي مات بها عبد الكريم؟
- لا أدري
- أين كنت عندما مات ؟
- لماذا لم تبلغي زوجك أنك قبضت مائة ألف دولار عندما مات حسن قبل سنة ؟؟
- كنت أريد أن أوفرها لأشتري شقة لنا فيما بعد ؟
- بدون علم زوجك ؟ سألها المحقق .

نظر إليها زوجها غير مصدق لما يسمع ثم قال لها:

- تقبضين من وراء موت حسن دون أن أعرف؟ هل مات ضميرك ؟ قتلتِ حسن وعبد الكريم لتشتري بيتا بدماء أطفالنا؟ أي أم أنت يا عاهرة ؟

هجم عليها وهو يصرخ فمنعه المحققون ونقلوه للغرفة الأخرى؟؟

أعادوه بعد لحظات، كانوا يريدون استخدامه للضغط على سهام في غرفة التحقيق لتعترف بجريمتها .

- أنت قاتلة سنصادر منك الأموال ونعدمك، لكن يمكن أن نخفف عنك الحكم لو تعاونت معنا وشرحت كيف جرى الحادث .
- أرجوكم لا أريد أن أعدم خذوا كل الفلوس ودعوني أعيش ؟

على الفور بدأت تشرح لهم كيف كانت تقتل أولادها بيديها، حيث تضع على وجه كل منهما الحرام حتى لا يستطيع التنفس وتعود بعد دقائق لتجده ميتا بعد أن يكون قد اختنق وبعد أن تتأكد أنه توفي تتصل بسيارة الإسعاف .

اعترفت أنها فعلت ذلك بدون علم زوجها وأنها كانت تقتل الابن بعد أن تشتري له بوليصة تأمين على الحياة لتقبض المبلغ لتشتري به بيتا جميلا وسيارة كبقية الناس .

أنا مجرمة ، قالتها بصوت عال ، قتلت أطفالي بسبب المال ؟

انهار الزوج لما يسمع

جئنا إلى أمريكا لنبني لنا مستقبلا ، فإذا بنا نقتل أبناءنا من أجل الفلوس ؟؟
ما الذي أتى بي إلى هنا ؟؟ هل جئت لأدفن أطفالي وأدفن زوجتي وأدفن حبي ؟؟
أم تقتل أولادها بسبب المال ؟؟!! لا أصدق ! لا أصدق !!
رحمك الله يا حسن

رحمك الله يا عبد الكريم
أمكما قتلتكما من أجل حفنة من الدولارات .
طوال عمري وأنا أسمع أن الجنة تحت أقدام الأمهات ، ولأول مرة أسمع أن جهنم تحت أيديهن . سهام أنت طالق طالق طالق طال... طا...

تِيا تميم

لا أدري لماذا كلما أراك يرتاح قلبي وتعلو البسمة وجهي، يخيل لي أنك رسول للرحمة والطمأنينة. آه لو أنني كنت رساما لرسمت لك لوحة جميلة كلوحات مايكل أنجلو أو دافنشي أو سليمان منصور.

يوجد شيء مشترك بيننا. الجمال الأوروربي الساحر يقول إنك من شمال أوروبا لكن اسمك يذكرني بالعرب وقبائلهم لم يرك صديق إلا وسألني:

- من أين كل هذا الجمال الساحر؟

بصراحة كنت أشعر بالتباهي أمامهم لأنك صديقتي لا أحد يصدق أننا صديقان وأن ما يربطنا فقط مكان عملنا المشترك لا أحد يصدق أن علاقتنا هي علاقة مثقفين متفاهمين كانا يتنافسان فى أمور العلم والحياة، الكل كان يحسدني ليس فقط لمعرفتي بك بل لأنني أتحدث إليك. أصبح الحديث معك أمنية لبعض الشباب فقد كانت نظرات عيونك تسحر الناظر إليها وكانت خفة دمك تبعث الاطمئنان والمحبة في كل من رآك.

هل تصدقين ؟ كان الكثير من الزبائن يأتون للمحل لرؤيتك فقط كانوا يتذرعون أنهم يأتون لشراء بعض المواد الغذائية لبيوتهم لكن هدفهم الحقيقي كان مشاهدتك وأنت تبتسمين وشعرك الطويل يتمايل على كتفيك. بعضهم طلب

مني أن أعرض عليك الزواج. اعتقدوا أنني المفتاح لقلبك، كنت أضحك لطلبهم ، لأني أعرف أنك ترفضين الزواج بهذه الطريقة.

كنت تبحثين عن شاب تحبينه ويحبك ، يحادثك بنظراته وابتساماته وليس برسالة شفوية يرسلها معي ، كيف يمكن لك أن تتزوجي شابا أخافته عيونك فلم يجرؤ أن يتحدث معك مباشرة؟

اليوم بعد أن سمعت من أبيك قصة عائلتك عرفت لماذا هذا الانجذاب الكبير إليك. اليوم عرفت غيرتي الكبيرة عليك. لو كنت شابا عَزَباً لفكرت بك لكنني فى سن أبيك وأحنو عليك كما أحنو على ابنتي التي لم يرزقني الله بها. نعم عرفت سر اهتمامي بك فقد قال أبوك لي إن عائلتك البوسنية(تميم) أصلها من نفس قبيلة تميم العربية من جزيرة العرب وإن بعض أفرادها هاجروا نحو أوروبا واستقروا وسطها وهناك أسسوا عائلة تميم منذ أكثر من(600 سنة).

يا الله لهذه القصة العجيبة، كل هذا الجمال الساحر من بني تميم أم من أمك الصربية؟
هل تذكرين عندما دعوت صديقي اللبناني مارسلينو مع زوجته وبعض الضيوف للعشاء فى المطعم الياباني وسط مدينة مينيابلوس فى منسوتا فقد دعوتك معنا، بعض المدعوين حسبوا أن علاقة خفية بيننا، لم يعرفوا أن غيرتي العربية على أحفاد تميم هي السبب. كيف لهم أن يعرفوا ذلك وكل ما يعرفونه عن المرأة فقط خارطة جسدها.

كنتِ حديث سهرتنا حتى السفرجي الذى أحضر الأكل بهر بك وقال لي:
ابنتك جميلة جداً.

ضحكنا جميعا .. لم يعرف لماذا نضحك ، اعتقد المسكين أنك ابنتي رغم فارق الشكل بيني وبينك.

لم يكن عندي أولاد بعد، فتمنيت لو كنت ابنتي فعلا لأصونك بعيوني فأنا أخاف على هذا الجمال الذي يعود بعضه لبني تميم أن يضيع في زحام أمريكا كما ضاعت الأندلس وصقلية والاسكندونه والأهواز وغيرها .

أبوك الرجل الطيب "عقائد" شاركني مخاوفي . قال لي ذات مرة..

- يا عادل أنا حزين جداً
- لماذا ولديك هذا الجمال الرائع؟

رد علي قائلا:

- لم يبق في البوسنة –حسب علمي- أحد من عائلة تميم سواي وابن عم قريب لي، أنا خلفت بنتين ولم أرزق بالأولاد، وابن عمي لم يتزوج حتى الآن ، وبعد موتي سينقرض اسم تميم لأن أولاد بناتي سيلحقون باسم أبيهم.

- أين الباقي ؟ سألته .

- بعضهم مات أو قتل في الحرب وآخرون لم يتزوجوا وآخرون اندثروا . قلت له مازحاً:

- لماذا لا تنجب طفلا آخر لعله يكون ولداً ؟

ضحك .. وأشار إلي بيده ثم قال:

- الوقت متأخر جدا

رباب في أمريكا

كنت سعيداً عندما تعرفت على رباب ابنة بلدنا تونس في ولاية ميريلاند. أن تلتقي بالغربة مع فتاة من الوطن الأم تقاسمك الذكريات والأحلام والأشواق

شـيء جميل يدغدغ العواطف المكبوتة خصوصاً وأنني لم أعد للوطن منذ أكثر من عشـر سـنوات قضيتها مغتربا ، لأنني لم أحصل على كرت الإقامة هنا، وإذا غادرت الولايات المتحدة فلا أسـتطيع العودة إليها وسـأخسـر عملـي الـذي حصـلت عليـه منذ عدة سـنوات.

قلت لنفسـي لعلها فرصة العمر، فأنا شـاب تجاوزت الثامنة والثلاثين ولم أتزوج بعد لأنني قررت فى نفسـي ألا أتزوج إلا من بنات العرب، ومسلمة رغـم أننـي لسـت متدينا ولا أقيم إلا القليل من الشعائر الدينية .

عرفتها من لهجتها وشكلها في أحد المحـلات ، فبنـات بلـدي لهـن لهجـة خاصـة تميزهن عن سائر بنات العرب حتى عندما يتحدثن بالانكليزية.
قلت لها بعد أن عرفت على نفسي:
- هل تعيشين مع أهلك؟.
- لا، أهلـي فـي أرض الـوطن ، وأنـا أعـيش مـع ابنـة خـالتي حيـث نـدرس فـي الجامعة.
- وماذا تدرسين؟.
- التمريض.
- رائع هذه مهنة جيدة وأمامك فرص عمل كثيرة.
- لهذا السبب أنا اخترتها فأمي في تونس ممرضة أيضا ووالدي موظف في إحدى الشركات الكبيرة.
- فرصة سعيدة أننا تعرفنا، هل لي برقم هاتفك؟
- طبعا..
تبادلنا أرقام الهاتف وافترقنا.

علاقتي برباب تحسنت كثيرا مع مرور الأيام وصارت تتصل بي يوميا تطمئن فيها علي وتناقشني بما يخطر على بالها حتى أصبحت حامل أسرارها، ولم يمر وقت طويل حتى عرفت كل ما يتعلق بها.

جاءت رباب للدراسة في الولايات المتحدة عام 2003 ، حيث أرسلها والدها بعد أن حصلت على فيزا طالب من السفارة الأمريكية هناك.

كان أبوها يرسل لها شهريا ألف دولار وهو مبلغ كبير بالنسبة إلى بلادنا خصوصا وأن الوالدين موظفان وليسا من التجار أو أصحاب العمل.

كانت مصاريف رباب تزداد كلما ازدادت سهراتها مع صديقاتها وأصدقائها فاضطرت إلى البحث عن عمل ،وعندما اصطدمت بعقبة كرت الإقامة الأمريكي- حيث كان أصحاب العمل يرفضون تشغيلها دون إقامة رسمية- فاتجه تفكيرها للحصول على كرت الإقامة بأية وسيلة كانت ..
قلت لها ذات مرة..
- لكن يا رباب ، لا يمكن الحصول على كرت إقامة بغير زواج؟
- أعرف ذلك، ألديك عريس يتزوجني صوريا؟.
- أتبحثين عن زوج مؤقت ؟! قلت لها بعد أن استغربت سؤالها؟.
- لم لا، ألا يفعل ذلك آلاف الرجال العرب وغير العرب؟.
- ربما لكنك..
- ماذا ستقول ؟ لكنني بنت! هكذا أنتم الرجال العرب.
- قد يصر على النوم معك.
- لا تقلق سأتدبر أمري. قالت لي ثم أكملت ، هل تقبل ذلك العرض؟.
- يا ريت يا رباب فأنا لا أحمل الجنسية الأمريكية ولا حتى كرت الإقامة.
- وكيف تعيش إذن؟.

- معي ، إذن عمل وقريبا سينتهي.
- ألديك صديق مستعد لمساعدتي؟.
- سأبحث لك عن أحدهم.

لم أصدق أذني بما سمعت، أهذه رباب التي كنت أمني النفس بزواجها؟ لابد أن والديها يتوهمان أن ابنتهما ستعود لهما بشهادة كبيرة .أيعرف أبوها ما تخطط له؟ أيعرف أن ابنته تخطط للبقاء هنا ولن تعود له ولأمها؟ لابد أنه يتباهى اليوم بها أمام أقاربها وينتظر يوم تخرجها ليزفها فى الحي كله حتى يتسابق "الخطاب" طالبين يدها منه .

أيعرف ذلك المسكين أنه لن يفرح بها بعد اليوم وأن ما يرسله لها كل شهر ذاهب أدراج الرياح.
لم أتوقع أن تكون رباب بهذا الشكل ، فقد بدأت أكتشف كل يوم شيئا جديداً لم أتوقعه قط.

كانت رباب تعيش مع عمتها المتزوجة من رجل من بلدنا ولديها ولدان وبنت واحدة اسمها لطيفة . جميعهم ولدوا في الولايات المتحدة وعاشوا هناك لا يعرفون عن بلادنا سوى اسمها وبعض مساوىء أهلها. فلم يهتم الوالدان بتربية أولادهم تربية عربية وإسلامية فكبر الأولاد لا يتحدثون العربية إلا بعض الجمل والكلمات التي ظلت عالقة في أذهانهم فى الفترة التي انتقل فيها الوالد مع عائلته للعيش فى تونس. لكن زوجته وأولاده جميعا ثاروا عليه حتى أجبروه على العودة إلى الولايات المتحدة . فالأم لم تعد تستطيع التأقلم في وطنها ، لأن الناس حسبما قالت ينظرون لها نظرة ازدراء كما أنها تعودت على الشوارع الفسيحة و"الهاي وي" ولم يعد يعجبها شوارع بلادنا الضيقة، مع أنني أتحرق شوقا لرؤيتها.

البنت الكبرى لطيفة بعد التحاقها بالجامعة قررت أن تستقل في السكن وحدها، ولم يكن أمام العائلة سوى الاستجابة أو الاستعانة بالشرطة.

وعندما انتقلت رباب إلى الولايات المتحدة سكنت مع ابنة عمتها ،وكان عليها أن تتقاسم معها كل مصاريف البيت، والويل لها لو تأخرت في الدفع.

كانت لطيفة كثيرة السهر كل نهاية أسبوع(ليلة الجمعة وليلة السبت) في البارات، والمراقص ولم تجد رباب ما يمنعها من ذلك فلازمت ابنة عمتها في حلها وترحالها .
انبهرت فى أماكن الرقص، أماكن واسعة، مئات الشبان، فتيات، شباب الجميع يتغامزون، يشربون، الكل يرقص، يتبادلون الرقصات كانت ابنة عمتها تعرف عشرات الشبان، ترقص مع كل منهم رقصة أو رقصتين ، لم يكن صعبا على رباب الاندماج بهذا الجو المرح فرقصت مع هذا وذاك، شربت، وأحيانا كانت تشرب حتى الثمالة فتقودها ابنة عمتها إلى البيت وهي تترنح يمينا وشمالاً.

فى إحدى المرات عرض عليها بعض الشبان إكمال السهرة في بيت أحدهم ، فذهبوا جميعا هناك، شربوا حتى سكروا جميعهم ، رقصوا وحصل ما حصل . قلت لها:
- ماذا تقصدين بحصل ما حصل؟.
- مارسنا الجنس معا..
- وهل نام..؟.
- لا تكن متخلفا ، هذا ما حصل، لا تقل لي إنك ملاك طاهر ولم تضاجع عشرات الأمريكيات.
- لكن كيف ستتزوجين وقد فقدت غشاء الـ... ؟.
- لا تقلق لن أعود إلى بلادنا ، سأبقى هنا فقد أحببت هذه البلاد.

لم أكن أعرف لماذا كانت تطلعني على أسرار حياتها بكل سهولة. هل كانت تريد تبرير ما فعلته؟ أم تريد أن تسمع رأيي بما قامت به، أم إنها تريد طمأنتي بأنها لم تعد عذراء وبالتالي لا مانع من مضاجعتها؟.

فلا غشاء بكارة ولا غشاء أخلاق فما الذى يمنع من ذلك؟.
كنت أنا بين نارين، بين الرغبة الصادقة في إنقاذها لأنها من بلدنا ويعز علي أن تكون مضغة فى أفواه الناس هناك، تضيع ويضيع معها مستقبلها وبين نار الانجذاب إليها، لانفتاحها وقلة حيائها، لأنوثتها الصارخة، لصغر سنها، لنعومتها وغنجها الزائد الذي يثير في الرغبة فى الانسياق لها.
فأنا رجل ألاحق الفتيات الأمريكيات فكيف يمتنع أمام فتاة دخلت المصيدة برجليها طائعة دون طعم.

بعد فترة جاءتني ترجوني السماح لها بالسكن معي فى البيت لأن ابنة عمتها طردتها لخلافات على تنظيف البيت، وافقت بعد تردد وقلت لها:
- لا مانع لكن عندى صديق من نفس تونس.
- جيد جداً، هي فرصة لأتعرف عليه، من هو؟.
- صالح.. كان أبوه يعمل فى بلدية العاصمة.
- حسنا هل أنقل ملابسي اليوم؟
- على الرحب والسعة.

أبلغت صالحا أن رباب سوف تنام معنا فقطب حاجبيه وقال.
- أمعقول؟.
- نعم هي طلبت مني ذلك لأن لطيفة طردتها من البيت.
- ولكن نحن هنا.. ثم ضحك وقال:أهلا وسهلا ستسلينا.

- لا تذهب بعيداً دعنا نحاول إصلاحها.
- إصلاحها؟ حسنا سأحاول الليلة، وهز رأسه مستهزئاً.

فى المساء كنت وحيداً أشاهد التلفاز وإذا برباب تدق الباب ومعها حقيبة ملابسها، فتحت لها الباب، رحبت بها وساعدتها على حمل الحقيبة، أوصلتها لغرفتي ، قتل لها :

أنت ستنامين مكاني وأنا سأنام فى غرفة الجلوس، تركتها ترتب أغراضها وجلست وحيداً مرة أخرى أمام التلفاز.

رتبت رباب حاجاتها وأغراضها ثم خلعت ملابسها لتلبس قميص النوم. شاهدتها من طرف الباب فأصابتني قشعريرة ، هل أحاول؟ أم أعوذ بالله من الشيطان؟
لعنة الله على الشيطان الرجيم، لماذا وافقت لها على المبيت هنا؟.
لكن لو لم أوافق ألا يمكن أن تذهب لتنام عند أحدهم؟
على الأقل نحن أولاد بلد ،والأقربون أولى بالمعروف.

خرجت من الغرفة بقميص النوم ورائحة عطورها تخترق أنفي، جلست بجانبي لمشاهدة التلفزيون . اقتربت منها حتى لامس جسمي جسمها شعرت برغبة فى استمالتها ، لكن لا أدرى لماذا كلما هممت بعمل شيء ما، شعرت بمن يجذبني للخلف، لماذا الخوف فهى جاهزة ولا تحتاج سوى لإشارة مني؟ قلت لها..
- أنت جميلة يا رباب.
- آه، منذ متى اكتشفت ذلك؟.
- منذ هذه اللحظة لاحظت هي أنني أدقق النظر في نهديها فقالت:
- لماذا لا تكمل اكتشافاتك.

- سأواصل.
وضعت يدي حول كتفيها، جذبتها بقوة وأنا أقول: المغفرة يا رب.

فجأة فتح الباب ودخل صالح تركتها وبدأت أتمتم.
- الحمد لله، الحمد لله أن صالحا لحقنا قبل فوات الآوان.

دخل صالح وسلم علينا ثم رحب برباب، جلس معنا وتبادلنا الحديث حتى ساعة متأخرة من الليل ثم نمنا جميعا.

استيقظت بعد ساعتين على ما يبدو لقضاء حاجتي في الحمام .
وبعد أن اقتربت من الحمام، سمعت تأوهات غير طبيعية اعتقدت في البداية أنني ما زلت نائما ، لكن سرعان ما عرفت أن الصوت قادم من غرفة رباب . ذهبت لغرفة صالح فتحت الباب بخفة لم أر صالحا هناك، فعرفت أنه في غرفة رباب ،فتحت باب الغرفة فرأيتهما بفعلتهما، أغلقت الباب عليهما وذهبت للحمام.

بعد أيام تركت رباب البيت حيث قالت لي إنها حلت مشاكلها مع ابنة عمتها.

مر شهر بعد ذلك لم أرها أو أسمع منها شيئاً قلت في نفسي استرحت منها وأراحتني يبدو أنها لن تتغير ويبدو أنني عاجز عن تغيير نفسي فكيف سأغيرها؟.
اتصلت بي بعد انقطاع استمر شهرا لتقول لي:
- بارك لي ، لقد تزوجت ؟!.
- تزوجتِ؟! مبروك ، قلتها باستخفاف ومن هو سعيد؟ الحظ كدت أقول تعيس الحظ.

- شاب أمريكي طالب معي فى الجامعة ، لقد وافق على الزواج منـي للحصـول على كرت الإقامة الأمريكي مقابل خمسمائة دولار.
- زواج صوري؟.
- تقريبا.
- ألا ينام معك.
- لا هكذا اتفقنا.

رغم اتفاقه معها على شروط الزواج ، إلا أن الطالب الأسود الـذي تـزوج ربـاب بـدأ يطالبها بالنوم معها باعتباره زوجها لكنها كانت ترفض ذلك ، كما كانت تقـول لـي، فصار يهددها بالتبليغ عنها بأنها تزوجتـه مـن أجـل كـرت الإقامـة وبالتـالي سـيتم تسفيرها من الولايات المتحدة خافت منـه فهربـت مـن الولايـة إلـى ولايـة أخـرى حيث سكنت مع رجل عربـي مـن أصـل ليبـي كانـت تعرفـه مـن قبـل، أكبـر منهـا بعشـرين سـنة، متزوج، ترك زوجته وأولاده في ليبيا ويعيش في الولايـات المتحـدة وحيدا. اسمه جمال ويعمـل فـي شـركة كبيـرة براتـب عـال. عـرض عليهـا الـزواج فوافقت على الفور وتزوجته بعد أن خلصها من صديقها الأسود.

قلت لها بعد أن اتصلت تخبرني عن زواجها المزعوم .
- لكنه رجل متزوج يا رباب.
- نعم لكنه يحبني ويحترمني وأنا مرتاحة معه . أنا أحب الرجل الأكبر سنا .
- وهل يعرف عنك كل شيء؟
- أخبرته وهو رجل متفهم للظروف.
- وماذا عن غرامياتك مع صالح؟.
- ما هذا يا حسام هل تريد فسخ زواجي من جمال؟.
- أنا أسألك فقط، على كل مبروك وأتمنى لك التوفيق.

كلما حاولت أن أنساها وأعيش حياتي، تعود لتتصل بـي . لقـد قرفـت منهـا ومـن نفسي، لعنة الله عليها وعلي أنا أيضا. لماذا تركتها تفلت منـي وهـي بـين يـدي في البيت؟. هل أنا نادم ؟ طبعا لا . أحمد الله أنني لم أفعل شيئا معها. يبدو لـي أن أفضل طريقة للتخلص منها هو تغيير رقم الهاتف،وهكذا عزمت، لكنـي قبـل أن أستلم رقم الهاتف الجديد بساعات وصلتني منها المكالمة الأخيرة. ويا ليتني لـم أستمع لها.

- مرحبا حسام.

- أهلا يا رباب ، ما هي أخبارك؟.

- أخباري يشيب لها الشعر.

- هاتي ما عندك.

- أنا أتحدث معك من الشارع حتى لا يسمعني زوجي .

- خير إن شاء الله.

- ليلة الأمس كان في زيارتنا صديق زوجي رجل من أصول يمنيـة، يـدعى ماجـد جاءنا بصحبة زوجته، وهي كما كان يبدو من ملابسها محافظة وتلبس الحجاب . أعددنا لهما وليمة عشاء فاخرة تخللها المشـروبات الكحوليـة ، لكـن المفاجـأة أن زوجة ماجد كانت تشرب معنا .

- معقول؟ حجاب وشراب؟.

والله العظيم هذا ما حصل ،ألا تصدقني؟.

- أكملي ثم ماذا؟.

- بعد الانتهاء من العشاء جلسنا لتبادل الحديث فبدأ زوجي جمـال وزوجهـا ماجـد يتبـادلان الحـديث عـن الجـنس وحـاولا إشـراكنا بـه تحـت مبـررات حريـة الـرأي والنقاش .

- ألهذا اتصلت بي يا رباب.

- دعني أكمل يا حسام ، لم تسمع المهم بعد.

- حسنا كلي آذان صاغية.

بعد ذلك طلب منى جمال إعداد غرفة الساونا عندنا في البيت وفوجئت به هو وجمال يخلعان ملابسهما ثم طلبا منا اللحاق بهما هناك، خلعت ملابسي أنا وزوجته سعاد التي فوجئت منها ذلك، ولحقنا بهما جلسنا جميعا بغرفة الساونا، في الماء الساخن واقترب بعضنا من بعضنا الآخر بشكل دائري حتى لامس كل منا جسم الآخر.

فجأة رأيت زوجي يمد يده على زوجة صديقه وبدأ صديقه يمد يده نحوي، لمسني بيديه ثم بدأ يقبلني، كنت مصدومة لا أدري ماذا أفعل ، لكن عندما طلب مني الذهاب للسرير رفضت.

- أنت ترفضين؟.
- لماذا لا تريد أن تصدقني؟.
- وأين تعيشين الآن؟
- عنده في البيت.
- وتريدينني أن أصدقك؟.
- لم لا ،وماذا بإمكاني أن أعمل؟ لا فلوس معي، لا بيت.
- عودي لأمك وأبيك.
- هكذا بدون شهادة، بدون فلوس ، وماذا سأعمل هناك؟.
- اعملي أي شيء.
- والشهادة؟.
- ملعون أبو الشهادة.
- كيف سأبني حياتي هناك؟.
- لا تهتمي بهذه المسائل الآن.
- لن أضحي بوجودى بأمريكا.
- وهل ستبقين مع هذا الرجل؟
- تعلم أنه زوجي شرعا.

- يا سلام! شرعا.. أمثلك يهتم بالشرع ويقيم له وزنا؟!.
- أنسيت نفسك يا حسام ؟ أنسيت صديقاتك سندي، وإيفا.. ؟.
- لم أنس لكني رجل سأتدبر أمري وأعيد بناء حياتي.
- وأنا إمرأة سأعيد بناءها.
- مع جمال أم مع ماجد أم مع كليهما.
- أنت تستفزني.!
- قبل أو أودعك سأقول لك شيئا:
- ماذا ستقول؟.
- يبدو أن كلينا سقط في نفس الهاوية، لكن واحد منا يحاول الصعود والثاني مستمر في سقوطه.

كيف يموت الحب؟

لم أتوقع أن تصل الأمور بيننا إلى حد الطلاق يوما ما. فعندما تزوجتها قبل 13 سنة تصورت أن يكون زواجنا نموذجيا، فقد ربط بيننا حب عارم وتفاهم منقطع النظير ، كانت سندي موظفة في الجامعة وخريجة قسم الكمبيوتر ، واسعة الثقافة وفوق كل ذلك جميلة، طويلة القوام، رشيقة تحافظ على صحتها كأنها عارضة أزياء، عيونها خضراء ساحرة، وشعرها الذهبي كأنه انعكاس لأشعة الشمس على لوح ذهبي، أو كأنه حزم من انعكاسات الضوء فوق أحجار الماس.

كان أصدقائي يحسدونني على هذا الزواج لكنهم تنبأوا لي بفشله لخبرتهم في هذا المجال. وكنت أستهزأ منهم وأصارح سندي بما يقولونه عنا فنضحك معا ونشرب نخب حبنا.
كان حبا رائعا ، ذا رائحة جميلة كرائحة الورود الملونة، لكني لم أعرف أن تلك الورود في شمال الولايات المتحدة تموت عندما تنزل درجات الحرارة ما دون الصفر، وأن عودة درجة الحرارة للارتفاع لن يعيد لتلك الورود حياتها بل على صاحبها أن يقتلعها من جذورها ويزرع بدلا منها وروداً جديدة.
فما الذي جرى لحبنا كي تموت جذوره وتصبح عودة الحياة إليه مستحيلة مهما أشرقت الشمس عليه ومهما سقيته . يبدو أنني تركته يتعرض للبرد الشديد ولم أحطه بالدفء الذي تعودت أن أحيطه به.

موت الحب وموت الورود لا حل له إلا بخلعه من جذوره ؟ ألم يكن بإمكاننا الحفاظ عليه ؟ ألم يكن بمقدورنا أن نبني بيتا له يحميه من برودة الطقس أم إنني كما قال صديق لي عشت في المنطقة الباردة، المنطقة التي لا تلائمني ولا تلائم حبنا.

لم أتزوجها لمصلحة شخصية ، فلم أكن بحاجة لكرت الإقامة كما يفعل الطلاب الأجانب عادة ، فأنا أحمل الجنسية الأمريكية وخريج جامعة قسم التحليل الاعلامي وأعمل مثلها براتب محترم في شركة كبيرة.

لم يكن كلانا متدينا أو متشدداً في دينه فأنا مسلم وهي مسيحية لكننا لم نقم أية طقوس دينية، فلا نصلي ولا نصوم ولا نقرأ القرآن ولا الإنجيل ، ولكن كنا نشارك أصدقاءنا وأقاربنا الأعياد والمناسبات .

كنا نعتبر أنفسنا متنورين ، متحررين، نحكم العقل في كل شـيء لـذلك نشـأت بيننا علاقـة قويـة، علاقـة صـداقة إضـافة للحـب كثيـرا مـا كنـا نسـهر مـع أقاربهـا وأصدقائها الأمريكيين وزوجاتهم وكنت حريصا أن أنـدمج مـع هـذه المجموعـة مـن الناس باعتباري أعيش بينهم وأعتبر نفسـي أمريكيا من أصل عربي.

أعترف لكم أننا كنا فى جلساتنا نشرب الخمور، ونتسامر في أمور الرياضة وبرامج التلفزيون التافهة لكن عند الحديث عن السياسة أو عن أمور العالم كنـت أدهـش من الجهل المطبق لهؤلاء الناس وعدم معرفتهم بشـيء خـارج حـدود بلادهـم، إلا القليل منهم. أحيانا كنا نرقص على أنغام الديسكو أو الرقص الهاديء فـي أمـاكن السـهر واللهو. نعم تضايقت فى البداية عندما كانت زوجتي ترقص مع صـديق لهـا في العمل لكني بعد فترة تعودت على ذلك فأنا نفسـي أرقص مع زوجاتهم علـى سبيل المجاملة وليس لإقامة علاقات جنسية، وكان يمكن أن يكون الأمـر طبيعيـا لكن ليس دائما فعندما ترقص مع إحداهن ويكون نصف صدرها بارزاً أمامك ورائحـة عطورها تسكرك أو تضيف لسكرك الأول من الخمر سـكرا جديـداً فأنـت تحـاول أن تتمالك نفسك ولكن شهيتك لها تصبح جزءاً من تفكيرك وتسيطر عليك.. فهل أنـا وحيد بهذا الشعور ؟

لهذا بدأت أغار على زوجتي ولـم تعـد سـهراتهم تعجبنـي، كانـت روتينيـة وكـان أصدقائي العرب يحسدوني عليها. قلت لها ذات مرة

- سـندي علينا التوقـف عـن هـذه السـهرات. لكنهـا فوجئـت بقـراري وقالـت مـاذا دهاك؟ فأخبرتها ما يعتريني من هواجس ضحكت وسألت أتغار علي؟.

- نعم أجبتها ، ضمتني لصدرها ، وقالت

-أحبك وأعاهدك ألا أرقص بعد اليوم مع أحد سواك.

قبلت العرض وسارت الامور على حالها.

كثيـرون أولئـك الأزواج الـذين تعتـرض طـريقهم الصـعاب، فيـؤدي ذلـك لانقسـام الشراكة فالدراسات الأمريكية تشير أن 75% من المتزوجين فى الولايات المتحدة

تنتهي حياتهم الزوجية بالمحاكم للطلاق . لكن السؤال الذي ظل يراودني بعد حياة استمرت 13 سنة وانتهت إلى الطلاق: هل يمكن أن نعتبرها تجربة؟ هل هي مجرد ذكرى؟ هل فعلا ينظر مثلي إلى حبه السابق بأنه حب حقيقي؟ أم إنني أتمنى لو لم يصادفني ذلك الحب قط؟.

كم فتاة عرف الرجل في حياته فاحتفظ بذكريات جميلة معها حتى لو كانت همسة أو إشارة أو غمزة عين حتى لو كانت عفوا ؟ هكذا هو الإنسان ، عند الطلاق تسود الدنيا وتبدأ الصراعات فى المحاكم وتتحول صفحات الحب القديمة إلى صفحات سوداء، كأن حبراً أسود انسكب عليها فمحا حروفها أو تحولت حروفها مع صفحاتها إلى لون أسود لا ترى منه أية بشائر بيضاء.

كلما تذكرت تلك التجربة فأنا لا أتذكر أولها بل نهايتها كأنني أفتح صفحة الكتاب الأولى ثم أنتقل فجأة للأخيرة ولم أعد أتصفح ما بينهما.

عندما رزقنا بطفلنا الأول اختلفنا على تسميته ولم نتفق في النهاية إلا على اسم واحد هو رامي، تنادته رام، وأناديه رامي.
أما ابنتي التي رزقنا بها بعد عامين فقد فرضت رأيي عليها وسميتها سناء فوافقت لأنها كانت تدلعها سان(San) .

رحم الله أمي فقد أهدتني عندما رزقت برامي لوحة من الصدف وعليها آية الكرسي مزخرفة بشكل جميل فعلقتها على الحائط فى البيت فسألتني سندي عما تحمله اللوحة فشرحت لها، لم تغضب بل ابتسمت وقالت جميل جداً لكن بعد عدة ايام رأيت بجانب اللوحة صورة للسيدة مريم وابنها المسيح (عيسى عليه السلام).

- سألتها لم هذه الصورة؟

- لتضيف للوحة الأخرى بهاء.
- لماذا اشتريت الصورة الآن؟.
- لم أنتبه لذلك في الماضي.

هززت رأسي ولم أعلق لكني شعرت أن سندي لم تكن موفقة فى ردها.

أما حين جاءتني سناء فقد علقت على كتفها خرزة زرقاء قالت أمي بأنها تطرد الشياطين ومع أنني لا أقتنع بتلك الخرافات فقد قبلتها وشكرت أمي وعندما عرفت سندي اشترت صليباً صغيراً وعلقته على الكتف الآخر لسناء . كنت حائراً لماذا أصبحت سندي تلاحق هذه الأمور الصغيرة فكانت ترد وتقول بأنني أنا من يفتعلها ، لكنني كنت أحاول أن أوضح لها أن ما تتحدث عنه كان هدايا من أمي بالمناسبة ولم يكن محاولة مني لفتح صفحة من الصراعات الدينية، فكانت تقول لي:

- لنضرب مثلا معا فى التسامح الديني

صمتت ثم أضافت

- ما المانع أن تعلق الصليب بجانب الخرزة الزرقاء؟

فصليبها يحث المسيح لرعاية البنت والخرزة الزرقاء تطرد الشياطين.

محاولات الجذب بدأت بعد أن أصبح ابننا الأول عمره 3 سنوات، فقد كانت تشتري له هدية بعيد الميلاد وتحتفل معه بها، فكنت أحتج بأن الطفل صغير على هذه الاحتفالات وأنها بذلك تحاول أن تجعله مسيحيا فأنكرت ذلك وقالت لي.

- أحمد حبيبي لماذا أنت حساس أكثر من اللازم ، عندما تزوجنا كنا متفقين أن الدين لله ورغم أنني مسيحية وأنت مسلم فلم نقحم الدين بيننا ، كنا متفقين على أن نعلم أولادنا التسامح وهم أحرار فى اختيار ما يرونه مناسباً.

قلت لها

- لكنك تحاولين كسب الأطفال للمسيحية من الآن.
- لا أحد يمنعك من الاحتفال بعيدكم وسأشارككم الاحتفال .

وافقت على ذلك العرض رغم عدم قناعتي به.
اتسعت خلافاتنا حتى أصبحت تشحن الجو بالعداء أحيانا وكلما كبر الأولاد كبرت خلافاتنا فكل واحد منا يريد أن يربي أولاده كما يرى أنه الأفضل . لم أكن أتصور أننا مختلفان إلى هذا الحد، بل دهشت للخلافات العميقة بيننا، وفي نظرتنا للأمور كنت أتهمها بأنها تحاول في تربيتها إفساد الأولاد أما هي فكانت تقول إنني رجل متخلف لا زلت أسيراً للماضي الذي جئت منه.

صرخت بي ذات مرة..
- كيف تطالبني أن أمنع سان (سناء) من ليس الشورت ولم تكن تطلب مني ذلك.
- حبيبتى ، أنا أعترض أن تلبس ابنتي هذا الشورت القصير وأرى أنه يجعلها عرضة لملاحقة الشباب .
- أوكي ،لم لا، دعها تفتنهم بجمالها. أحمد نحن هنا في أمريكا ، كل البنات يلبسن الشورت أتريد أن تعقد البنت ؟

بقيت الأمور بدون حل ولم أكن أملك سوى إقناع سناء بعدم لبس الشورت فاستجابت لي مكرهة.
لم يتوقف الأمر عند الشورت، بل تعداه لأمور عديدة كانت تتصاعد يومياً.
البرود دب فى حياتنا، بدأت عمدا لا أشاركها سهراتها خارج البيت، وفيما بعد أعلنت امعتاضي من سهراتها وطلبت منها الإقلاع عن السهر فى البارات والمراقص . ثارت ثائرتها وقالت:
- أحمد لم أعرف أنني متزوجة من رجل من طالبان (نسبة لحركة طالبان الإسلامية الأفغانية).
قلت لها بنفس الأسلوب
- لو كنت من طالبان لم أتزوجك أصلا

- هل أنت نادم على الزواج مني ؟
- لا يا حبيبتي ولكنك تذهبين بعيداً في تفسيرك لما أفعله تجاة الأولاد. حاولي أن تفهميني.
أنا زوجك ولي عليك بعض الحقوق.
- تذكر أنا لست خادمة عندك.
- وتذكري أنهما أولادنا وليس أولادك وحدك.
- أعرف ذلك ولكن لا تمنعني من تعليمهم ما أراه لمصلحتهم.

كلما كبر الأولاد كانت خلافاتنا تتفاقم، ولم أعد أعرف هل تفجر الصراع بسبب الأولاد أم كان صراعا على وشك الانفجار ويبحث عن مبررات؟.

كنت أتساءل دائما ، لو بقينا بدون أولاد هل كانت حياتنا ستظل كما لو كانت يملؤها الحب والتفاهم ؟ هل فعلا كنا متفاهمين أم كنا نتوهم ذلك لأننا كنا شبابا نهرب من أسباب الخلاف ونشغل أنفسنا باللهو والرقص والمشروب؟ ولماذا تفجرت خلافاتنا ؟ هل أنا السبب ؟ هل سندي هى السبب؟ هل التكوين الثقافي لكل منا هو السبب ؟ ترى لو كانت سندي هذه امرأة سودانية مثلا أو جزائرية هل كانت ستكون كما هي الآن؟.
ما المقصود إذن بحوار الثقافات والحضارات؟. كيف للثقافات أن تندمج ؟ لابد لواحدة أن تسيطر على الأخرى ولنقل تسود عليها فتصبح ثقافة للاثنين معا، حينها قد تختفي الفوارق . ألا يمكن لنا التقدم إلى منتصف الطريق ؟ هذه الأسئلة وغيرها كثير كانت دائما تدور فى ذهني ولم أجد جوابا عن أي منها.

عندما اقتربت ابنتي من العاشرة بدأت أعلمها أن لا تدعو الأولاد للبيت وأن لا ترتبط مثل الآخريات بما يسمى بـ البوى فريند .

وعندما علمت سندي ثارت وقالت لي:
- لقد أقلقتني يا أحمد، أنت تتعامل معي بوجهين ، فقبل أن نتزوج كنت صديقي حتى تزوجنا ، وسهرنا كثيرا وعملنا ما عملناه قبل الزواج فلماذا الآن تطلب من سان أن لا يكون لها صديق؟.
لماذا لا تعلمها كيف تختار صديقها، لماذا لا تتعرف عليه وترشدها إن كان مناسبا أم لا؟.
- سندي ابنتي لا زالت صغيرة والأولاد يقومون بأعمال جنونية فى سن البلوغ ، أشاهد كثيرا وأسمع عن بنات يحملن في سن 11 سنة ، فهل تريدين لسناء أن تقع في الخطيئة .
- علمها أن أن تقي نفسها ولا ترجع لنا حامل.
- وماذا لو مارست الجنس ولم تحمل ، هل يصبح الأمر مباحا؟
- أحمد كل الأطفال المراهقين يقومون بذلك.
- ليس مع ابنتي.

لم تقف خلافاتنا عند هذا الحد ، فكل شيء أصبح مثار خلاف إذا شاهدنا شاشة التلفزيون قلت لها
- ما لنا ولبرامج الـTalk Show التي لا حديث لها إلا عن الجنس، هذا ولد يضاجع أمه وهذه أم تمارس الجنس مع ولد صغير كانت مربيته وهذه مدرسة تضاجع طالبها .. أليس لديك برامج أفضل للأولاد؟..
- أحمد، هذه البرامج تتحدث عن مشاكل موجودة فى المجتمع دع الأطفال يحضروها ليروا بأم أعينهم الصح والخطأ .
- وكيف سيتعلمون الصح وهم يرون الكل يصفق لهؤلاء الكلاب؟.

لم أعد أشعر بالراحة في البيت، فى إحدى المرات لفت انتباهها .

- حبيبتي أولادنا كبروا فلماذا لا تحتشمين أمامهما بلباسك فأنت شبه عارية وعندما تميلين برأسك لالتقاط شيء عن الأرض يظهر كلسونك من الخلف وصدرك من الأمام

قالت وقد زمت شفتيها..

- أنا في البيت وليس فى الشارع.

- أعرف ذلك ولكن هؤلاء أولاد لهم مشاعر وغرائز.

- حبيبي، سام ابني وسناء ابنتي.

- شكرا لك وهل كنت أجهل ذلك، لكن هناك أولاد كثيرون اغتصبوا أمهاتهم أو..

أوشكت النهاية على الاقتراب . شعرت أن الأرض تهتز من تحت أساسات الحب الذي بنيناه قبل 13 سنة، وأن الأساسات كانت واهية فلم تصمد أمام عاصفة الحب الأولى التي كانت عنيفة كعاصفة كاترينا أو ريتا.

بدأت أشعر بالفارق الشاسع بيننا، ذلك الفارق الذي لم أكن أميزه قبل 13 سنة، إما لأنني لم أدقق به جيداً وإما لأنني تجاهلته تماما كالإنسان الذي ينسى أنه يمشي على الأرض لأنه دائم التطلع للسماء.

كثيرا ما أتساءل ما هو الحب؟ هل يرتبط بزمن معين كنظرية أنشتاين في الأبعاد الثلاثة أم أنه مثل أي شيء يتغير إما للأحسن وإما للأسوأ؟.

قصتنا دخلت إلى المحكمة وأمام القاضي وضع ملف كبير بآلاف الوثائق من الطرفين لحضانة الأطفال. كل منا يتهم الآخر بأنه يريد إفساد الأطفال لم تطالب سندي بأية نفقة أو أموال فهى تعمل براتب جيد، كل ما طلبته هو حضانة الأطفال ولإنها الأم فقد كسبت القضية ولم يكن باستطاعتي أن أثبت أنها غير مؤهلة لحضانتهم، لم يعد بإمكاني أن أراهم كل صباح ، فقد أمر القاضي أن أراهم

مرة واحدة أسبوعيا وليوم واحد فقط ، فهل سيكون تأثيري فيهم بالحجم الذى أريده؟ وماذا أقول لهم عندما أراهم؟.

هل سأضيع وقتهم القصير بالمحاضرات والأوامر فيملون مني أم أحاول خلال تلك الساعات أن أمنحهم بعض الحب؟ وأتناول وجبة الغذاء معهم، أستمع لمشاكلهم وألعب معهم؟ هل سأنجح في استردادهم ثقافيا بعد أن فشلت فى حضانتهم؟

نصيبك كده!

أقنعتني أمي بالسفر إلى مصر لزيارة الأهل والأقارب والتعرف على بلدي الأصلي، بلد أمي وأبي، وهي البلد التي لم أدخلها منذ ولدت هنا في مدينة نيويورك قبل أكثر من عشرين سنة.
سمعت عن مصر كثيراً، لا من أمي وأبي فقط، ولكن أيضا من أصدقائنا المصريين الذين يعيشون فى نفس المنطقة التي أعيش فيها هنا في نيويورك، حتى أصبحت أتشوق لزيارتها والتعرف على أهراماتها وشوارعها ونيلها الذي طالما حدثني عنه والدي.

كنت أعلم تماما قبل سفري أن والدتي تحاول خلال مدة زيارتنا أن يتقدم للزواج مني أحد الأقارب أو أهل البلد ، لكي تفرح بي كما قالت، وكنت أنا أعترض على تلك الطريقة من الزواج السريع الذي لا يعطي الفرصة للطرفين ليتعرف أحدهما على الآخر، واكتشاف مدى التوافق بينهما حتى يستمر الزواج ولا يتعرض لهزات عنيفة . لكن أمي كانت تقول لي:

- ياحنان اللي له قسمة بحاجة لازم يخدها.

كنت أرد عليها بلغتي العربية المكسورة.

- يا ماما دا مش جواز ، دا كلام فارغ.

لكنها كانت تصر على كلامها وتقول لي بأنها لن تجبرني على الزواج إلا إذا اقتنعت. وإنني إن تزوجت فيجب أن أتزوج مصريا حتى يظل ارتباطي بمصر قويا ولكي أعود يوما إلى هناك.

توكلت على الله وسافرت مع أمي إلى القاهرة ، وهناك كان في استقبالنا طابور طويل من الأهل الشباب والشابات والنساء وكبار السن حتى تخيلت أنني صرت رئيسة الولايات المتحدة قالت لي أمي:

- شايفة يا حنان استقبال الضيوف؟ كل دول أهلك وحبايبك . كان الشباب يتغامزون علي كأنني صيد ثمين يتسابق الجميع لاصطياده.

منذ اليوم الأول لوصولي القاهرة لم تنقطع زيارات الخطاب لكنني كنت أرفض ذلك وأتساءل كيف يتقدم شاب لخطبة فتاة لا يعرفها ولا يجلس معها . أحد الشباب يبدو أنه كان على قدر من الذكاء أو الخبث لا أدري ماذا أسميه كان يكثر من زيارتنا للاطمئنان على والدتي - وهي خالته ، وخلال وجوده يستغل المناسبة للحديث معي والاستفسار عن الحياة في الولايات المتحدة وبطريقة فهلوية يعرفها المصريون. ينتقل من حديث لحديث بأسلوب فكاهي جعلني أرتاح إليه قليلا.

المصريون مشهورون بالحديث كأن الواحد منهم مذيع تلفزيوني أو كما يقول المثل بالع راديو . وهم مشهورون أيضا بأنهم سريعون فى الكلام وفي مسح الجوخ ولعل أبرز مثل لذلك سائق التاكسي الذي يسألك عادة من أين أنت إذا شعر أنك غير مصري فإن قلت له إنك أردني مثلا يبدأ بكيل المديح للأردن وشعب الأردن وملك الأردن.

- الأردنيون دول شعب رجاله .. أي والله،دول أهل الكرم والعز... إلخ.

وإن قلت لـه إنـك سـعودي، سـتنهال عليـك المـدائح والاشـادة حتـى تغـرق فـي خجلك.

فى إحدى المرات حدثني ابن خالتي قائلا :
صعد فى إحدى سيارات التاكسي راكب ، فسأله السائق ..

- إنت أكيد من سُريا (يعني سوريا)
- إي نعم رد عليه الراكب

فبدأ السائق بمديح السوريين.

- السوريون أبطال حرب أكتوبر ، إنتو جدعان أنا دايما معجب بالرئيس حافظ الأسد ،داه هو أحسن رئيس عربي...

فقاطعه الراكب

- لكنه رئيس ظالم اغتصب السلطة بالقوة ويعتقل آلاف الناس..

فقال السائق:

- أنا كنت عايز أقول كده بس خفت لتكون من جماعة الأسد دا واحد ظالم، ذبح الشعب السوري. ربنا على الظالم ، ماتخافوشي دا احنا معاكم.

ضحكت وأنا أستمع لهذه الأحاديث من ابن خالتي أشرف الذي استغل انشغال عمتي التي كنا ننزل في بيتها وذهاب أمي للسوق فى عرض الزواج علي قال لي:

- اسمعي يا حنان ، أنا زيك تماما ، الزواج السريع أنا ضده ، علشان كده أنا مش جاي علشان أخطبك أنا بس عايز فرصة نكون وحدينا نتفاهم مع بعض وإذا القلوب قربت من بعض ، نتكل على الله.

فقلت له:

- وهل تكفي مدة الشهر أو الشهرين للتعرف على بعض

فقال:

- مش مهم المدة حتى لو استمرت علاقتنا سنة، احنا ورانا إيه؟.

سعدت به وبرؤيته للأمور، لم أكن أعلم أنه يحاول الدخول لقلبي عن طريق عقلي، فاستمرت علاقتنا وخرجت معه أكثر من مرة حيث كان دليلي السياحي يشرح لي كل شيء في مصر بلدى الجميلة. لم تطل المدة فقد استطاع إقناعي بالزواج منه فكان زواجنا.

ولأنني أعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد أجريت له المعاملات اللازمة ليلحق بي هناك.

عشت معه فى شقة متواضعة لأن وضعه الاقتصادي كان محدوداً. لكنه بدأ العمل منذ وصوله إلى هناك. فقد كانت فرصة عمره التي كان يبحث عنها.
فى البداية اشتغل عاملا لدى أحد المطاعم التي يملكها مصريون، لكنه سرعان ما افتتح محلاً لتجارة الجملة، كنت أساعده في الأمور الادارية والمصرفية فقد كانت لغته الانكليزية ضعيفة وكذلك فهمه للحسابات وقضايا الضرائب.
كنت سعيدة جدا معه فى العامين الأولين لكن سرعان ما بدأت ألمح تغيراً سريعا على نمط حياته، فقد أصبح يتأخر فى الليل مع أن عمله يستمر حتى السادسة مساء. وكلما سألته يقول لي شغل يا حنان شغل.

كان عمله يتطور ويتسع بشكل لافت للنظر، حتى اشترى بيتا جميلا فى السنة الثالثة واشترى لي سيارة جديدة من نوع GMC الكبيرة التى تصلح للثلوج الكثيرة في نيويورك واشترى لنفسه سيارة لكساس من أحسن الأنواع . كنت أحيانا أسكت على غيابه الكثير عن البيت خصوصا بعد أن رزقنا بطفلنا الأول الذي سميناه عمادا .

مع الأيام بـدأت أخـرج عـن طـوري، خصوصـا عنـدما بـدأت أسـمع مـن الصـديقات والأهل أن زوجي يتأخر فى الليل، لا في الشغل ولكن في السـهر مـع صـديقاته الأمريكيات، منذ تلك الأيام بـدأت المشـاكل تـدب بيننـا وصـرت أطلـب منـه تقريـراً مفصلاً أين كان، وعندما لمس فى لهجتي الجدية كشـف لي عن حقيقته.

- ايه يا حنان إنت نسيتي احنا مصريين. وأنا الراجل فى البيت ، أنا أخرج وقت ما أنا عايز كله شغل يا حنان ، والشغل أسرار. وإنـت عايشـة فـى نعـيم وعنـدك عربية جديدة كل ست بتتمنى واحدة زيها.
- أنا مش عايزة عربية عايزة راجل فى البيت.
- الله هو أنا مش معبي عينك.
- ده أنا بشوفك كل يوم ساعة أو ساعتين فين ايـام زمـان لمـا كنـا بنسـهر مـع بعض..

قاطعني وخرج..

غضبت منه وقررت الرد على اسـتهتاراته.. كـان يتـوهم إنـه يسـتطيع أن يجبرنـي على الرضوخ له لأنه رجل، لم يكن يعرف أن أمريكا ليسـت مصـر وإن حنـان التـي عاشت هنا ليست حنان المصرية الغلبانة التى تجبرها القوانين والظروف أن تركع لزوجها وترى خيانته وتسمع عنها وتسكت.

توقفت عن غسيل ملابسه، فبدأ يغسلها فى محل غسيل الملابس ولم أعد لـه الأكـل فـي البيـت فصـار يأكـل خـارج البيـت. ازدادت مشـاكلنا ولـم يتوقـف عـن ممارساته فازددت غضبا وقلت له:

- عليك أن تتوقف عن سهرات المجون

فأعلن أنه لا يسهر مع أحد.

كان كاذبا فقد كنت أكتشف في جيبه علبا صغيرة مليئة بحبات دائرية عرفت فيما بعد أنها حبات تدعى اكستسي، وهي نوع من المخدر الممنوع الذي يسـتخدمه

متعاطوه للجنس . حيث يجعل هذا النوع من المخدر الرجل يقظا طـول الليـل ولـه رغبة قوية للجنس، لكن الأطباء يؤكدون أنه مخدر مضر قد يؤدي لاحقا لشلل فـى الدماغ.

ولم يكن صعبا علي أن أكتشـف حتى بدون ذلك فالمرأة تعرف عندما يتغير زوجهـا وتزوغ عينه فحاستها السادسة نادرا ما تخطئ .

لماذا هذا المخدر إذن ما دمت لا أراه ولم يعد يقوم بواجبه معي.

كلما كنت أواجهه بانحرافاته يدعي أن عاداتنا وتقاليدنا تحتم علي إطاعته ،حتـى ثرت به مرة.

- طز في العادات والتقاليد ، تقاليد ايه يا أشرف. إنت هـ تأكل بعقلى حلاوة؟
- الدين بتاعنا يا حنان يقول : الرجال قوامون على النساء
- يا سلام وحضرتك بطبق الدين . أنا نسيت إنك شيخ الأزهر.
- إنت بتتريقي يا حنان ..مفيش احترام لجوزك
- أنت خليت احترام يا...
- قولي سكتي ليه؟

قلت له بعد فترة صمت باللغة الانجليزية.

- اسمع يا أشرف يجب أن توقـف كـل اسـتهتاراتك عليـك أن تعـود أشـرف الـذي عرفته ،عليك العودة للبيت بعد الشـغل ، وإن أحببـت السـهر نسـهر معـا و إلا سأذهب لنفس الأماكن التي تسهر فيها.
- ماذا تقصدين؟.
- أنت تعرف أين تسهر ،فـى الـدي جـى فـو، حيـث النسـاء العاريـات وعليـك أن تتوقف عن تعاطي المخدرات .
- دا كلام فارغ . أنا بتعاطى مخدرات؟
- نعم، إكس تسـي .. أنا شـفته بجيبك.
- بجيبي؟ . آه دا..

- دا آد فيل
- أشرف يبدو أنك غبي أو تستغبيني أنا لست من نساء مصر التى ستجبرها ظروفها أن تركع لك. عليك أن تتوقف عن ذلك وإلا سأحول حياتك للجحيم .
- ده أنت زودتيها أوي ،أنا مش هـ سمحلك.
- أنت فاكر نفسك إيه؟

غضب مني فرفع يده وضربني على وجهي ، فثارت ثائرتي فحملت كأسا بجانبي وضربته بها. تعاركنا فهربت للغرفة الأخرى واتصلت بالشرطة التى حضرت، قلت لهم إنه ضربني فألقوا القبض عليه ولم يخرج إلا في اليوم التالي بعد أن وقع على تعهد بعدم الاقتراب مني. تنازلت عن حقي بطلب من أمي وأبي ليحاولا إصلاح البين وكان باستطاعتي أن أقذف به خارج البيت، لكنني حرصت أن يتخلى عن ممارساته ليعود إلى بيته وابنه.

حاول أبي معه كثيرا لكنه لم يرعوي، كان يؤكد أنني المخطئة وأنه لا يقوم بشيء يغضب ربنا وأنه يتأخر في الليل لمصلحة الشغل.

منذ تلك الحادثة ساءت العلاقة بيننا فقد توقع ألا أتصل بالشرطة مهما حدث. يريد أن يضربني وأن يشتمني ويهينني وأن أتفرج عليه يقوم بذلك لأنه زوجي، بحجة أن الرجال قوامون على النساء. الرجال يتذكرون من الدين ما يحلو لهم، فقد تجاهل أن الزنا حرام ونسي أن الخمر حرام وغض الطرف عن الإكس تسي وأما القمار فهو حلال في نظره!!

مشكلتي معه أنني مسلمة ربتني أمي على العفاف وأرفض أن أمارس ما يمارسه هو ولو كنت من البنات إياهن لدرت على حل شعرى كما يقولون . فلم يكن يسأل عن بيته ولا يهتم أين أذهب كل ما كان يهمه أمواله التى تتضاعف وسهرات مجونة التى تكاثرت ، لم أعد استوعب تصرفاته ولا كثرة مشاكلي معه،

فقررت فى أحد الأيام إغـلاق البيـت مـن الـداخل ، وعنـدما عـاد للبيـت فـى أحـد الليالي وجده مغلقا من الداخل فرن الجرس فسألته من الطارق فقال:

- افتحي يا حنان أنا أشرف.
- اذهب للمكان الذي كنت فيه
- لم يصدقني فقال
- افتحي بلاش هزار السـاعة 2 الصبح
- ارجع محل ما جيت يا سـيدي ، المفتاح ضاع .

ولم أعد أرد بعد ذلك .

استمر قرع الجرس فلم أفتح له. اتصل مـن هاتفـه الخلـوي علـى البيـت . رفعـت السماعة أنتظر منه كلمة اعتذار لما بدر منه لكنه قال لي :

- حنان ، إذا رجعت ، مش هرجع تاني للبيت ده
- مع السـلامة.

كانت فعلا تلك آخر مرة يترك فيها البيت . حـاول أهـل الإصـلاح إصـلاح ذات البـين لكن لا جدوى، فلم يكن مستعداً لتقديم أي تنازل. كان كل ما هو مستعد لـه هـو تقديم ما يلزم من مصاريف للبيت وزيادتها إن لـزم الأمـر لكـن دون أن أتـدخل فـى شؤونه كأنني خادمة فى البيت.

نسـي كل ما قاله لي فى مصر، ولكن الشـيء الأساسـي الذى جعله يتجاهلني هو حصوله على كرت الإقامة الدائم بعـد مـرور سـنتين علـى زواجنـا، كـان يعلـم أنني بعد ذلك لا أستطيع سحب الإقامة منه وهو ما كان يخطط لـه منـذ البدايـة ، استخدمني ربما كجسر للوصول إلى أمريكا مع أن أقاربي كان يقولون لي:

- أشرف راجل طيب جداً وكريم.
- أشرف دا راجل لقطه مضيعيهوش منك
- اصبرى يا حنان مسـير الراجل لبيته.
- سـايريه يا حنان.

- إذا اطلقت بكره ، مش هتلاقي حد يتجوزك

كنت أصرخ فيهم، لماذا لا تقولون الحقيقة هل ما يقوم به صحيح؟.

هل يحق للرجل خيانة زوجته ؟ هل هل هل؟.

كنت أرى في عيون الأهل والأقارب تضامنا معي لكن ألسنتهم كانت تقول عكس ذلك.

- الطلاق هو الحل.

أشرف يعرض الطلاق ويقول إنه سيدفع لي المتأخر وفوقها عشرة آلاف دولار.

- نعم نعم؟ صرخت فيهم.
- المتأخر ، هل يتذكر هنا إنه مسلم ويريد تطبيق الشريعة؟ وماذا عن سهراته ومخدراته؟ هل هذا يتطابق مع الشرع؟

أحد الأقارب الرجال قال لي:

- يا حنان دا شرع ربنا
- كنتو فين من شرع ربنا، وأشرف كل يوم بنتهك شرع ربنا؟
- دا حرام يا حنان، أنت بتتهمي الراجل بدون دليل.
- بدون دليل ؟ انتو عايزين دليل؟.

تركتهم وانصرفت.

كانوا يتوهمون أنني غبية وأنهم هم الأذكياء لم يعرفوا أن ذكاءهم انحصر فى مسألة واحدة هو قدرتهم على خداع زوجاتهم.

بعد أسبوع دعوت عددا واسعا من نساء العائلة والأقارب وبعض المصريات الصديقات، وبعد أن تناولن طعام الغذاء ،جلست معهن لأعلن لهن المفاجأة التى هزتهن.

قلت لهن عندى لكن مفاجأة.

- اللهم اجعله خير قالت إحداهن.

أحضرت مجموعة من الصور وقلت دققن جيداً فى هذه الصور وستعرفن كل شيء.

وبدأت أوزع الصور على الجميع طالبة منهن تبادل الصور بينهن بعد ثوان بدأت كل واحدة تصيح.

- ايه ده يا حنان مش معقول.
- أستغفر الله العظيم ده أشرف مع واحدة عريانة .
- معقولة ، دا جوزي، إخس تفو عليك خاين.

بدأ الهرج والمرج وتعالت الأصوات غير مصدقات فهدأتهن وقلت لهن أهدأن سأشرح لكن كل شيء.

لم تتوقع أي منهن أن أكون بهذا المستوى من الجراءة فقد وظفت محققا خاصا دفعت له خمسة آلاف دولار كانت مهمته مراقبة أشرف وأماكن رقص العراة التى يتردد إليها وتصويره وهو معهن بصحبة شلة الأنس التى ترافقه دائماً. كانت مفاجأة لهن ليس ما يفعله أشرف ولكن أن ترى بعض النساء أزواجهن مع أشرف بالجرم المشهود.

ثرن على أزواجهن وقررن عدم السكوت لكننى بعد فترة علمت أن كلا منهن حلت مشاكلها مع زوجها، أو بشكل أدق تغاضت عن ذلك بوعد من الزوج ألا يكررها. هل ترى كان الأزواج سيقبلون ذلك لو كانت هي المرأة التي تخون زوجها؟؟

أما أنا فلم استوعب خيانة الرجل ، ولا أقبل مجرد الاعتذار . عليه أن يغير سلوكه ، يغير طريقة حياته ، فالرجال كذابون يمكنهم الاعتذار ألف مرة باليوم وإعادة ارتكاب الجريمة من دون وازع من دين أو ضمير.

زوجي تغير منذ بدأت الفلوس تتكاثر بين يديه، وعندما كان عاملا كان في قمة روعته. غيرته الفلوس ،جعلت منه وحشا كاسراً .توهم أنه بالفلوس يشتري كل شيء ، لكنه أخطأ فلن يشتري كرامتي بكل فلوس الدنيا .

الطلاق هو الحل نعم لكن ليس حسب طريقته بل حسب الاتفاق ، نسي أصلا أنني سبب وجوده في هذا البلد. اتجهت للمحاكم الأمريكية . حاول التهرب لكنني من خلال المحامي الذي وكلته وباستشارة محاميه عرف أنني أملك أوراق ضغط قوية وأن تهريب فلوس أو تسجيل محلاته بأسماء أصدقائه لن تفيده فأنا أعرف كل أسراره وأسرار عمله وتهربه من الضريبة وحبات الاكس تسي التي كان يحتفظ بالمئات منها فى جيبه كأنه كان يتاجر بها.

رضخ أخيرا للتفاوض معي ليس حبا ولا شرعا لكن لأنه لم يجد مناصا من ذلك.
اتفقنا على كل شيء ودفع ما اتفقنا عليه وكانت القطيعة قلت لأمي بعد الطلاق.

- أرأيت كيف تكون نهاية الزواج المتسرع.

قالت لي:

- إيه يا حنان دا انت نسيتي؟ ده انت اللي اتفقت معاه من ورا ظهري.
- من وراء ظهرك ، مش ده ابن اختك؟.

نظرت إلي أمي بحسرة وقالت

- النصيب يا بنتي. نصيبك كده!.

وعادت مكسورة الجناح

لم أكن أتصور أن تصل الوقاحة بهذا الرجل إلى هذا الحد،كدت أفقد أعصابي أنا وأحد الاصدقاء ونضربه، لولا أنه تنازل واستجاب لمطلبنا.

قلت لليلى بعد أن نجحنا فى إجبار زوجها على طلاقها، ما الذي زوجك هذا الرجل التافه فقالت لي:
- لم يجبرني أحد، فقد قبلت به عن رضى بعدما خدعني حديثه.
فعندما يأتي عريس من الولايات المتحدة يبحث عن عروس في بلدنا فإن أهل البلد يعتقدون أنه يجلب معه السعادة ، لم يخطر إلى أذهاننا أن يكون بهذه الوقاحة، ألم تعترف أنت بأنك لم تر شخصا فى قذارته.
مسكينة ليلى لولا مساعدتي لها لكانت قد انتحرت أو ضاعت كما ضاع غيرها.

جاءتني قبل فترة تبكي وقالت لي أريد الحديث معك أرجوك ساعدني أنت من أهل بلدي وأنا أتوسم منك الخير فلا أهل لي في هذه البلاد .

حمدت الله - بعدما سمعت قصتها - أنها جاءت إلي ولم تذهب إلى شخص آخر ، ربما حاول استغلال وضعها ، فأهل البلد كما قلت لها ليسوا كلهم طيبين،بل منهم من هو أسوأ من زوجك سليمان.

حملت نفسي وذهبت مع مجموعة من الأصدقاء إلى زوجها وناقشنا الموضوع معه، كنا نعتقد أنه سينكر فعلته ،لكنه كان يتفاخر بما يفعل قال لنا:
- أنا حر بما أفعل أنا أعيش فى أمريكا وهذا بيتي ومن حقي أن أدعو صديقاتي للبيت.
قلنا له:
لكن لزوجتك حرمة ،فكيف تخونها في بيتها؟.
- أنا حر. ثم أكمل..
- إذا أرادت فلتذهب مع من تشاء ما دامت آخر النهارستعود للبيت.
فوجئنا بجوابه ، ثارت ثائرتنا..
- وهل تريدها أن تصبح عا....؟.
فقال لنا بهدوء:
- لماذا الصراخ ، هي حرة وهذه حياتي،إن لم يعجبها فلترحل عني.
- لكنك أحضرتها من البلاد قبل سنة كزوجة أوهمتها أنك رجل يحترم نفسه.
قال: أنا لا أظلمها ،وهي التي وافقت على الزواج مني ولماذا الزعل قلت لها في البداية، سأظل أحضر صديقاتي للبيت فإن لم يعجبها فلتتركني ، لن أمنعها، هل تريد الطلاق؟
أنا مستعد لطلاقها.

لم نتوقع هذه الوقاحة.
نعرف رجالا كثيرين يخونون زوجاتهم لكن لأول مرة نرى عربيا يقول لزوجته اذهبي مع من تشائين، هل هذه هي الحرية الوحيدة التى تعلمها سليمان هناك؟.

هذا الرجل لا يستحق الضرب ولا محاولة إصلاح. هذا الرجل الطلاق منه سعادة ونعمة. وكان هذا مطلب ليلى.

- دخيلكم طلقوني منه.

اتفقنا معه بعد ضغط وتهديد أن يدفع لها خمسة آلاف دولار ويشترى لها تذكرة السفر، ويعطيها كل ملابسها لتعود للبلاد التي أتت منها مطلقة، تحمل كرت الإقامة والخمسة آلاف دولار وكرامتها المهدورة.

الخيانة المزدوجة

دعاني قريب لي لوليمة غذاء ، وبعد إصرار منه قبلت الدعوة فعادة لا أقبل دعوات الغذاء لانشغالي بالعمل وأفضل العشاء بدلا من ذلك. لكن يبدو أن قريبي مصطفى يحب أن يترك الليل للأولاد والعائلة فدعاني نهارا وبالفعل ذهبت إليه .

يسكن مصطفى في مدينة صغيرة في ولاية إلينويس قريبة من شيكاغو ويقع بيته في شارع فرعي جميل مليء بالأشجار في منطقة مخصصة للسكن فقط في بيوت فاخرة (فيلل) ، حيث تمنع البلدية هناك أن يبنى عمارات بشقق، بل تمنع حتى البناء لأكثر من عائلة في البناء الواحد .

يسكن قريبا من بيت مصطفى صديق لنا اسمه ناصر ، يقع بيته في منتصف الشارع الفرعي الذي يوجد له مدخل واحد فقط أي أن الشارع ينقطع بعد بيت قريبي مصطفى بحوالي كيلو متر . وأحتاج للوصول لبيت قريبي المذكور أن أمر من باب بيت صديقي ناصر ذهابا وإيابا .

الساعة الثانية بعد الظهر دخلت الشارع الفرعي بسيارتي وما هي إلا ثوان حتى اقتربت من بيت صديقي ناصر فالتفت بسرعة وأنا أمر من أمام بيته لعلي ألمحه أمام

البيت ، لكني لم ألمح أحداً، وبدلا من ذلك شاهدت سيارة تقف في كراج بيته خيل لي أنني أعرف صاحبها .

- أليست هذه سيارة عدنان ؟
- لكن سيارة عدنان على ما أظن حمراء وهذه لونها أخضر
- لكني شاهدت هذه السيارة، أين شاهدتها يا عباس ؟ حاولت التذكر ففشلت وخانتني ذاكرتي .

ذاكرتي هذه مثل ذاكرة الكمبيوتر أحيانا تتجمد فلا تستطيع عمل شيء مما يجبرك على إغلاق الكمبيوتر وتشغيله من جديد وأنا أحتاج لراحة نفسية بعيدا عن مشاكل العمل وإرهاقه ، بعيدا عن الأولاد والزوجة ومطالبها، بعيدا عن الحسابات والأرقام ، لكن كيف ذلك ؟ ربما أحتاج لإجازة أسبوع كامل، لكن حتى لو أخذت إجازة فهذا الهاتف اللعين يلاحقني في كل مكان، أكاد أحيانا أكسره ولكني رغم ذلك لا أستغني عنه .

وصلت إلى بيت قريبي ، أوقفت السيارة وأنا أفكر من تراه يكون ضيف صديقي ناصر فزوجته مسافرة هي والأولاد إلى بلادها الأصلية في إجازة، وهو عادة في مثل تلك الحالة يذهب بضيوفه إلى المطعم !!

غريب هذا الأمر لكن ما الذي يقلقني بهذه السيارة ؟ ربما لأنني رأيتها سابقا وأريد أن أحل اللغز ، أريد أن أعرف من يكون ضيف ناصر ، حسنا لم لا أتصل به ؟

أخرجت الهاتف الخلوي من جيبي واتصلت بناصر ، رن الهاتف رنة واحدة ثم تحولت المكالمة لآلة تسجيل الرسائل، إذن جهاز الهاتف عنده مغلق. قد يكون نسي أن

يشحن بطارية هاتفه مع أنه حريص أن لا يحدث ذلك معه حتى أنه لا يترك هاتفه يغيب عنه لحظة، ربما انشغل مع ضيفه .

نزلت من سيارتي أمام بيت قريبي فوجدته ينتظرني على الباب بعد أن شاهد سيارتي تقف أمام بيته ، رحب بي وفتح لي الباب .
سلمت عليه بحرارة وتعانقنا

- اشتقت لك يا مصطفى ، أين أنت يا رجل ؟؟
- أنا يا عباس ؟ حرام عليك، أنت الذي نتمنى الجلوس معه مثل أيام زمان فينك يا بزنس مان ؟
- شغل يا مصطفى شغل .
- تفضل يا عباس تفضل، تأخرت قليلا يبدو أنك كنت مشغولا
- تعلم يا عزيزي كم أكون مشغولا أثناء النهار لكن ذلك يهون من أجل الجلوس معك وتناول الغذاء.

دخلنا البيت فاستقبلتني زوجته ، سلمت عليها وجلسنا في غرفة الاستقبال .

تحدثنا طويلا وتناولنا طعام الغذاء، ثم الشاي وقبل أن أنصرف أخرجت هاتفي واتصلت ببيت صديقي ناصر فلم يُجب أحد، كأنه خرج وضيفه من البيت، يبدو أنني تأخرت قليلا فقد كان علي أن أتصل بالبيت فور اتصالي بهاتفه الخلوي لكن لا بأس سأتصل ثانية به، فاتصلت فورا بهاتفه الخلوي لكني فوجئت أن آلة التسجيل ترد علي بأن صاحب هذا الرقم لا يرد على الهاتف الآن مما زاد من شكوكي ووساوسي .

حاولت أن أخفي قلقي عن قريبي وفجأة سألته
- هل تعرف لون سيارة أحمد المنزوري ؟

- نعم ، إنها بيج ، ما الذي ذكرك بها الآن وبأحمد ؟
- لا أدري ربما لأنني تذكرت شيئا ، على كل حال شكرا لك يا عزيزي مصطفى علي أن أغادر الآن لأن أمامي بعض الأعمال علي أن أنجزها .

غادرت بيته عائداً في نفس الطريق محاولا فك لغز هذه السيارة، وقد تباطأت في السير حتى أتأكد من السيارة التي تقف في مدخل بيت ناصر وعندما لمحتها من بعيد وتأكدت أنها ما زالت تقف أمام البيت خففت سرعة السيارة لكي أقطع شكي بيقيني .

- لكنه لم يجب على هاتف البيت والهاتف الخلوي مغلق ، معقول ؟؟
- لا لا هو لا يعملها في بيته أعرفه جيدا ربما يذهب مع امرأة هنا أو هناك لكنه لا يفكر أن يعملها في بيته فسكان الشارع يعرفونه ويعرفون زوجته كما إن بعض جيرانه من العرب الذين تقيم زوجته علاقة جيدة مع زوجاتهم .
- لماذا أظلم الرجل ألا يمكن أن يكون نائما ؟؟ ألا يمكن أن تكون هذه سيارة جديدة اشتراها ؟؟ ممكن لكن المشكلة إنني رأيت هذه السيارة تحديدا فربما اشتراها من الذي رأيته يقودها وقديما قالوا ، يخلق من الشبه أربعين .

حسنا دعني وشأني ما لي وله ، سرت ببطء أمام بيته أنظر إلى الشبابيك أو البيت لعلي أشاهد أحدا .
وصلت أمام البيت مباشرة ، فلمحته يقف مع شخص لم أميزه جيدا لأن السيارة اللعينة التي كانت تقف أمام بيته كانت تحجب عني نصف الرؤيا وكان يقف وظهره للشارع ووجهه لضيفه كأنه في مشهد غرامي، أتكون امرأة في ضيافته ؟ لكن معرفتي به تؤكد أنه لا يستضيف نساءً في بيته . ربما أخته جاءت لزيارته من يدري !

لكن هذه ليست سيارة أخته، فأنا أعرف سيارتها تماما إلا إذا غيرتها خلال الأيام الماضية القريبة .

تركتهما وتابعت سيري لكني فجأة قررت التوقف على جانب الطريق ، أوقفت السيارة وحملت هاتفي الخلوي بيدي وبقيت أراقب من مرآة سيارتي ، تلك السيارة اللعينة حتى تمر من جانبي فما دام يقف أمام البيت فلا بد أنه يودع ضيفه، أجريت عدة اتصالات هاتفية وأنا أراقب الشارع .

فجأة لمحت السيارة تقترب مني ، رفعت الهاتف متظاهرا أنني منشغل بمكالمة هاتفية وكنت أهز رأسي وأحرك شفتي كأنني منسجم في الحديث مع الطرف الآخر ولم ألتفت للسيارة التي مرت وتظاهرت أنني لم أنتبه لها ،لكني بذكاء المخبرين أو لفضولي الزائد لمحت سائق السيارة، أقصد سائقة السيارة .

- يا إلهي معقول ؟؟!! ؟
- لا أصدق إنها كانت عند ناصر !! ماذا كانت تفعل هناك ؟
- كنت أعتقد أنها غير ذلك ، أو هكذا كانت تحاول أن تفهمني بأنها مسلمة ومحافظة، أتراني ظلمتها ؟ ألا يمكن أن تكون قد جاءته باحثة عن عمل ؟
- ها ها ها باحثة عن عمل في بيته ، وقد استمر اللقاء أكثر من ساعتين ؟؟ لا لا لا أعتقد .
- لكن ما الذي يهمني من الموضوع وكأنها أخت لي ؟

اللعين عملها إذن ! أتذكر يوم رآها أول مرة عندي في المكتب عندما كانت تعمل سكرتيرة ، أتذكر تماما كيف تغير وجهه؟

حينها نظر إليها فاغرا فاه ، توسعت عيناه وبدت عليه إمارات الانبهار

- يا لها من امرأة جميلة !! هكذا النساء وإلا فلا ، آه لو ... ليلة واحدة فقط ، مستعد أن أخسر نصف عمري بليلة واحدة . من أين تأتي بهذه النساء يا عباس ؟!
- إنها فتاة من البوسنة ، مسلمة متزوجة وعندها طفلان لذا دعك منها ، ثم قل لي لماذا لا تكسب نصف عمرك كله مع زوجتك ؟ إنها أجمل منها .
- ليس مهما أنها متزوجة ، بل هذا يسهل الأمور .
- اتق الله يا رجل ألا يكفي أنك متزوج ...
- من يكره النساء الجميلات يا عباس
- حتى المتزوجات ؟!
- والمطلقات أيضا ها ها ها ها
- أنت زير نساء يا ناصر ، على كل حال هذه امرأة غير ما ترى لذا دعها وشأنها ، فهي تعمل هنا منذ فترة .

كانت سونيا امرأة جميلة لا يتجاوز عمرها الخامسة والعشرين عاما متزوجة من رجل بوسني مثلها ولها منه طفلان وحياتهما كما كان يبدو لي هادئة ورائعة ، هاجر الاثنان من البوسنة بعد الحرب بقليل إلى الولايات المتحدة بحثا عن الذهب الأخضر ومُنحا حق اللجوء السياسي مع أن الحرب كانت قد انتهت، لكن يبدو أن سياسة توزيع سكان البوسنة على العالم كانت تتم بصمت .

في السنة الأولى قالا إنهما سيعملان عدة سنوات ويعودان بعدها لبلادهما الأصلية، لكنهما الان لا يذكران البوسنة بشيء كما هو حال كل المغتربين أو معظمهم في القارة الجديدة ، خصوصا هي فطالما قالت لمعارفها من غير البوسنيين إنها تكرة شباب البوسنة ولا تحبهم وتفضل أن يكون أصدقاؤها من غير البوسنيين ربما لتكون

بعيدة عن نظرات أبناء بلدها الأصلي الذين يعرفونها وقد يشي أحدهم بها لزوجها أو لأحد أقاربها أو معارفها .

لم أعط كلام صديقي ناصر أي اهتمام حول الموظفة سونيا فقد كنت أعتقد أنه لن يتحرش بها أو يلاحقها لأنها موظفة عند صديقه عباس إضافة لكوني حذرتها أن لا تقيم أية علاقة مع شباب يزورون المكتب أو يعتبرون من زبائنه فأقسمت أنها ليست من أولئك النساء وأنها امرأة متزوجة ومسلمة والمسلمون محافظون ولأنها متزوجة وعندها طفلان فإن آخر ما توقعته أن تكون مثلهن !!

لا أدري لماذا اطمأننت لكلامها ، ربما لأني أعرف أنه فشل مع واحدة أخرى من البوسنة ، إذ لم تسعفه سيارته الفاخرة ولا فلوسه الكثيرة ولا حتى أناقته الزائدة والعطور التي يرشها على نفسه كل يوم بحيث يمكنك أن تشم رائحتها من مسافة طويلة .

لم تكن المسألة ذات أهمية عندي فخروجها مع رجل آخر لا يعنيني بشيء وكل ما يمكنني عمله فصلها من العمل بحجة أو بدون حجة .

لم تمض شهور طويلة حتى تركت سونيا العمل متذرعة أنها وجدت عملا آخر، ولم أعد أراها إلا قليلاً إذ كنا نلتقي أحيانا في محلات (الجول) الكبيرة للتسوق أو في أحد المولات كانت مع طفليها، ابن وابنة مثل البدر، كل منهما أجمل من الآخر، وكثيرا ما كنت أراها مع صديقات لها بوسنيات جميلات وساحرات والأهم باسمات ومرحات ، وكنت أتساءل من أين كل هذا الجمال ؟!

كنت أرتاح إلى الحديث معهن وأجد نفسي أميل إليهن لأنهن مسلمات من البوسنة تعرضن للحرب ولمحاولات الإبادة، ولا أعرف إن كان هذا الميل سببه التضامن معهن أم انجذاب عاطفي غير ملموس لنساء جميلات، فلم أكن مثلاً أقضي هذا الوقت الطويل للحديث مع الرجال البوسنيين .

تابعت سيري بسيارتي متوجها للعمل بعد وليمة الغذاء الكبيرة وحاولت أن أشغل نفسي بالاتصال ببعض الأصدقاء حتى وصلت إلى المكتب. قررت في نفسي ألا أتحدث مع ناصر بأي شيء وكأنني لم أر شيئا فحديثي لن يغير الموضوع ، وقد أكون مخطئا في تحليلي لما رأيت . لم أفتح الأمر مع صديقي ناصر ، فقد كنت واثقا أنه سيحدثني يوما ما عن مغامراته الجديدة كما تعود أن يحدثني عن مغامراته القديمة التي أحفظها عن ظهر قلب كما أحفظ قصص عنترة والهلالي، والزير سالم ولم أشأ أن أشعره أنني أراقبه .

اليوم الأحد علي الذهاب لشراء بعض الملابس لي ، توجهت إلى أحد الأسواق الكبيرة التي تدعى مول . وصلت بعد الظهر وبحثت عن مكان أوقف فيه سيارتي لمحت سيارة "فان" بعيدة في آخر الموقف مع أن الزبائن عادة يوقفون سياراتهم في أقرب مكان للمحل فلماذا هرب صاحب هذا الفان إلى هناك ؟!

تحركت بسيارتي إليها مسرعا وفجأة عندما شاهد سائقها أنني قادم أشعل محركها لكنني فجأة كنت أمامها

- من رامي، ماذا تفعل هنا
- نشتغل، قالها ضاحكا وغامزا موحيا لي أن ركابا آخرين معه أعرفهم ، وكأنه يريدني أن أراهم ماذا يفعلون ، فاقتربت من الباب الخلفي ففتح الشباك وإذا به ناصر يبتسم ومعه سعيد وبينهما سونيا.

- حركت رأسي مبتسما وماذا تفعلون هنا يا ...؟
- نتسلى، أتحب أن تتسلى تعال الليلة سنذهب إلى بيت حسان وستأتي فتيات كثيرات ، رائعة ومن الضيوف من تقل أعمارهن عن 18 عاما .
- يا عرصات ثلاثة على واحدة
- واحدة ؟؟ هذي عشر نساء ، أتريد أن تجرب ؟؟
- تقوم بالواجب كاملا ، كل شيء يخطر على بالك مستعدة القيام به ، يعني سوف تنسى نفسك معها .
- الله يبعدني عنكم ، ونسوانكم ماذا تقول
- من لم يعجبها تضرب رأسها بالحيط
- هاي سونيا كيف حالك ، سألتها
- هاي أباس (عباس) نحن نتناقش حضرت معهم أشتري بعض الملابس لأن سيارتي تعطلت، قالتها بعد أن احمر وجهها ، وكأنها لا تريدني أن أعلم شيئا، مع أنها على ما يبدو تخلت عن كل حياء .تركتهم وتابعت ما جئت من أجله ، وأنا أحك رأسي .

- عجايب في هذا الزمان
- من يعش أكثر ير الكثير
- ومن يسافر كثيرا ير الأعاجيب

كلهم متزوجون سونيا والثلاثة الذين تتناقش معهم ولديهم أولاد حتى إن أحدهم جد وأولاده على وشك الزواج .

زوج سونيا يجلس الان في البيت ربما مع الأولاد ، عرفت فيما بعد أنه طلقها بعد أن طلعت روحه وهي تطالبه بذلك ، فجاءتني فرحة

- أباس (عباس) بارك لي

- مبروك ما الخبر ؟
- خلص طلقني ، خلصت منه لم أكن أحبه ، كان مثل الحائط يأتي كل ليلة بعد يوم عمل طويل وبعد العشاء يذهب للنوم، لم يكن يشعر بي لم يكن يهتم بي، يرضي غروري كامرأة.

لم أصدقها فأنا أعرف زوجها، ولكني أعتقد أنها أرادت أن تقضي شهواتها مع رجال أجمل وأغنى وإلا ماذا يعني أن تبني علاقة مع رجال متزوجين.

ضحكت وتظاهرت بالتضامن معها ، مع أنني أعرف أنها فرحة لأن ذلك يتيح لها حرية إقامة العلاقات مع أي رجل تريده . فمن كانت تكره زوجها لا تستبدله بمجموعة رجال !

مشكلتي أنني لا أستطيع أن أكون رجل دين وأنهي الناس عما يفعلونه بالقوة ولا حتى بالكلمة، لأني سأضطر حينها أن أترك عملي وأتفرغ لأكون مصلحا اجتماعيا ولأن الناس سيعادونني إن تدخلت في شؤونهم. لهذا أسمع قصصهم وأحاول أن أبدي رأيي وأحيانا أتظاهر بالرضا، فأنا لست حكيما وليست مهمتي هداية الناس .أنا رجل أعمال ، اضطر أحيانا بحكم عملي أن أشارك في سهرات لا أرغب فيها وأجامل أشخاصا لا أحبهم وأزور آخرين أتمنى موتهم ، فهذه طبيعة عملي تجبرني أن أبتسم لكل زبون .

عرفت فيما بعد أن سونيا أصبحت حديث الشباب العرب وما أكثرهم في شيكاغو وكلما اجتمعتُ ببعضهم كانت سونيا تتصدر حديثهم ، فهذا يشتمها ، وذاك يتحدث عن لياليها الحمراء ، لكن حسب شهادة الكثيرين فقد كان ناصر أكثر من يأسر قلبها ، كانت تحبه وكان يقول إنها رائعة، لا تخجل من أي شيء ، ليس كالنساء العرب كأنها كانت محرومة منه طوال عمرها .

- هل بقي لها قلب؟
- نعم إن كان لهم قلوب .

رأيتها بعد ذلك مرتين الأولى كانت تلبس حجابا فقالت لي إنها أصبحت متدينة، وهي على علاقة مع رجل عربي من بلد غير بلدي، اشترط عليها أن تلبس الحجاب ليتزوجها، فيما قال لي صديق أثق به أنه شاهدها تخلع الحجاب عندما كانت تهم بالدخول لأحد المحلات التجارية البعيدة، أما المرة الأخيرة فقد شاهدتها بينما كنت أتسوق في أحد المحلات لم تكن تلبس الحجاب، فسألتها ماذا تفعلين هنا فردت قائلة إنها تبحث عن عمل ، قلت لها هل تزوجت ؟؟
ضحكت وقالت لا لم أتزوج بعد، انتم العرب كذابون .
اصطنعت ابتسامة على وجهي وسألتها : هل أنتم البوسنيون أكثر صدقا ؟؟

أولاد للتبني!

وقفت سيدة مسلمة عربية تلبس الحجاب في المسجد لتعلن للمصلين أن هناك أربعة أطفال مسلمين عرب موجودين لدى مؤسسة لرعاية الأطفال بحاجة لمن يتبناهم لأن المحكمة قضت بعدم صلاحية أمهم لتربيتهم.

لم يرفع من الحضور أحد يده مبديا استعداده لرعايتهم. لكن أحدهم سألها:
- لماذا لا توزعون كل طفل على أسرة وبذلك يكون الأمر أسهل؟
فأجابته على الفور:
- لكن يا أخي هؤلاء أربعة إخوة أفلا يكفي أنهم فقدوا أمهم لإهمالها وأبوهم لا يسأل عنهم فلماذا نشتت شملهم أكثر من ذلك.
رد أحد الحضور..
- لكن العدد كبير لأسرة واحدة.
قالت له:
- يا أخي العزيز بعد أن سحبتهم الشرطة من أمهم فقد منحتهم لعائلة من السود الأمريكيين غير المسلمين، لكننا بذلنا جهوداً لاستعادتهم لعل عائلة مسلمة تتبنى رعايتهم وتنشئهم تنشئة إسلامية بدل ضياعهم.
لم يتحدث أحد ، صمت مطبق.
السيدة تواصل الحديث:
_ إذا فشلنا في إيجاد عائلة مسلمة تتبناهم فسوف تستعيدهم منا الشرطة وسوف تقرر المحكمة منحهم لأول عائلة تتقدم طالبة رعايتهم، بعد ذلك لن نستطيع حتى الحديث معهم.
صمت مطبق .
- أنا أدرك حجم المعاناة لكل منكم، لكن التضحية مطلوبة.
أحد المصلين يقول بينه وبين نفسه يكفينا ما عندنا ، شاب شعرى من أولادي ،فكيف بأولاد غيري.
كان جاره بجانبه يتمتم.
- لماذا نتحمل أخطاء غيرنا؟
فرد عليه مصل آخر:
- لماذا لا تتبناهم هي نفسها؟

- وهل هذه أول جريمة ترتكبها أم عربية؟ هناك آلاف الأولاد الذين نسيهم آباؤهم لأنهم جاءوا فى غفلة منهم بعد أن قضوا متعهم مع صديقاتهم ،هناك آلاف الأبناء يعيشون مع آباء وأمهات أسوأ من تلك المرأة التى سحبوا أولادها منها فلماذا نتحمل أوزار غيرنا؟.

سأل مصل رابع من بجانبه

- من أبوهم؟.

فرد عليه جاره.

- هؤلاء أولاد حسن سلمان ، ألا تعرفه، ترك زوجته بعد أن طلقها وغادر البلاد، أما أمهم فقد كانت تتركهم وحدهم في البيت وتدور على حل شعرها.

في المرة الأولى أنذرتها الشرطة بعد أن شكتها جارتها لكن بعد تكرار الحادثة أخذت الأولاد.

- يبدو أنها فرحت لأنها تخلصت منهم.

- معقول يا رجل ؟ أم تترك أولادها؟.

- ماذا رأيت يا أخي؟ المخفي أعظم.

- لماذا لا نعمل على رعاية هؤلاء الأطفال معا .

- وماذا لو عجزنا عن ضبطهم فأنت ترى أحدهم عمره عشر سنوات، وقد تعلم الإهمال من أمه، فقد يساهم في تخريب أولادي وعندما يكبر فهو سيحتاج إلى مصاريف أكثر وجامعة وأنا ملزم به حتى سن 22 سنة، ماذا لو أحضر صديقته لبيتي؟ لا يا عم يكفيني ما بي.

عرفت السيدة أن مهمتها صعبة، لكنها لم تيأس فقالت في ختام حديثها.

- أرجو أن تمرروا هذه الرسالة لكل الإخوة ، فمن يقرر التطوع –جزاه الله خيرا- لرعايتهم ،عليه أن يتصل بإمام المسجد، ثم تركت الميكروفون.

انتهت المدة المحددة، فاضطرت الشرطة إلى أخذهم من المركز الإسلامي للرعاية، ومنحوا لعائلة أمريكية من ولاية أخرى لا أحد يعرف أين هم ولا كيف يعيشون!.

المسلمون هناك ما زالوا يقيمون صلاة الجمعه ويدعون الله أن ينصر الإسلام والمسلمين.

زيارة إلى مكتب الإف بي آي

استيقظ محمد الساعة الثامنة صباحا كعادته، وقبل أن يغادر البيت إلى العمل طلب من زوجته أن تعد له فنجانا من القهوة بينما كان يلبس ثيابه ، فردت عليه قائلة :

- لا تنس أن تحلق ذقنك يا حبيبي .
- سأحلق غدا ليس عندي وقت الآن
- ذقنك طويلة يا محمد ، منظرك بشع أمام الناس
- هذا أحسن ، حتى لا تطاردني الفتيات.
- يا حبيبي احلق ذقنك ودع كل البنات يطاردنك، على الأقل سيقولون زوجك حلو وجميل فأتباهى بك .
- سأحلق عندما أعود.
- أتمنى لو تنفذ أمنيتي مرة واحدة وتحلق ذقنك عندما أطلب منك.
- يا بنت الحلال شغلنا لا يحتاج إلى الحلاقة، وهل تعتقدين إنني أعمل في محل أزياء؟

بينما هما يتجادلان قرع الباب

يا ساتر يا رب قالها محمد ، من الذي سيزورنا في هذا الصباح الباكر ؟

كان محمد يكره أن يرن جرس البيت في الصباح الباكر وبعد منتصف الليل، فقد كان يتشاءم من تلك الاتصالات أو الزيارات.

- من الطارق ـ هو إز إت ـ قال لها بالإنكليزية ـ ؟؟؟

- إف بي آي ، افتح الباب ؟

صعق محمد ، إف بي آي ، خيرا إن شاء الله

- حسنا انتظروا أنا قادم

طلب من زوجته أن تدخل إلى لمطبخ وبعد ثوان فتح الباب

- إف بي آي ، بادره أحد الرجال الثلاثة بعد أن كشف له عن شعار الإف بي آي ـ بادج ـ
- هل أنت محمد ...؟
- نعم أي خدمة ، كان محمد خائفا بدون شك
- لا تقلق لا نريد إزعاجك ، لدينا بعض الأسئلة ، هل نجلس أم تريد الحضور لمكتبنا
- سأحضر للمكتب.

قالها محمد بعد أن فكر أن جلوسهم في البيت يمكن أن يطول وهو على موعد مع العمال كما أن الأطفال قد يخافون، هذا إضافة إلى وجود وقت ليستشير أصدقاءه فيما يمكن عمله .

- حسنا سنراك يوم الأربعاء القادم الساعة العاشرة صباحا في مقرنا في الداون تاون، هذا هو كرتي عليه عنوان المكتب ورقم هاتف إن احتجتني لاستفسار بي فلا تتردد بالاتصال، اسمي ستيفن، إلى اللقاء .

أغلق محمد الباب بعد خروجهم وبدأ يتساءل ماذا يريدون مني ؟ ألا يوجد غيري حتى يلاحقوه؟ ألم يبق لديهم أي عمل حتى يضيعوه على مطاردتي؟ وماذا فعلت حتى يشتغلوا بي؟

خرجت زوجته من المطبخ بعدما عرفت أنهم خرجوا وبتوتر وقلق بالغين قالت :

- ماذا يريدون
- لا أدري أكيد وشى بي أحد الجواسيس كذبا ليحمي نفسه من ورطة
- لماذا يشي بك ؟ هل فعلت شيئا ؟
- يا بنت الناس ، فأل الله ولا فألك ، ما هذه الأسئلة؟ وحدي الله، وهل أنا ابن لادن؟
- طول بالك ، أنا أسألك ليطمئن قلبي. إذن لماذا أتوا لك من دون الناس؟
- لا أدري سنرى يوم الأربعاء القادم
- إياك أن تكون قد ارتكبت جريمة دون علمي
- والله الإف بي آي يهونون عنك ، ها أنا ذاهب، دوشتي رأسي من أسئلتك.
- يهونوا عني؟ ، أنسيت إنك دائما تحكي بالسياسة؟
- أحسن شيء تشتغلي معهم

حمل كأس القهوة معه للسيارة وغادر البيت مشغولا ومتوتر الأعصاب

ما إن ركب محمد سيارته حتى أخرج هاتفه الخلوي من جيبه واتصل مع صديقه

- مرحبا حسن
- أهلا محمد أين أنت يا رجل؟ لم أرك منذ مدة طويلة؟
- المصايب بدأت تهل علينا وأول الغيث قطرة
- خيرا إن شاء الله
- قل خرا وليس خيراً
- ماذا جرى هل حصلت مشكلة بينك وبين أحد أصحاب البيوت التي تعمل فيها؟
- يا ريت لكن المسألة أكبر من ذلك، على كل حال يجب أن أراك شخصيا، ما رأيك الليلة بعد العشاء؟
- حسنا أين تريدني أن ألتقي بك؟
- في المسجد بعد صلاة العشاء

- اتفقنا
- إلى اللقاء

انتهت صلاة العشاء في الجامع وسلم المصلون على بعضهم، وبعد أن سلم محمد هب يبحث عن حسن فوجده في الصفوف الأمامية قريبا من الإمام كعادته، فسلم عليه وطلب منه أن ينزويا في ركن من الجامع وحيدين .

بادره حسن :

- أقلقتني عليك، ما المشكلة؟
- يا حسن اليوم زارني الإف بي آي في البيت، كانوا ثلاثة.
- خير يا محمد
- طلبوا مني أن أزورهم في المكتب ، قالوأنهم سوف يسألونني بعض الأسئلة .
- ألم تعرف ماذا يريدون.
- وكيف لي أن أعرف
- ألك مشاكل مع أحد؟
- أبدا والله
- هل تريد توكيل محام ليكون معك؟
- يا حسن المحامي يريد آلاف الدولارات فلماذا أدفع بدون سبب؟
- المحامي يا محمد يساعدك حتى لا يخدعوك؟
- ولو يخدعوني؟ أنا النملة أعرف إلى أين تسير
- من يسمعك يعتقد إنك أبو زيد الهلالي.
- ألا تثق بي؟ لن يأخذوا مني لا حق ولا باطل.

- يا عزيزي الإف بي آي هنا لا تضرب ولا تشنق لكن لو كذبت عليهم مرة واحدة وضبطوك تكذب ولو كذبة تافهة يمكن أن يحاكموك عليها حتى لو فشلوا في التهمة الأصلية.
- ولماذا أكذب؟ لا أتكلم إلا الصحيح.
- والله أنا نصحتك وانت حر يا محمد، أنا أرى أن لا تذهب لهم أصلا وإن أرادوك بشيء دعهم يعتقلوك رسميا.
- على كل حال سأفكر في الموضوع

في مكتب الإف بي آي

صباح الأربعاء استقل محمد سيارته متوجها إلى وسط المدينة ـ الداون تاون ـ حيث مكتب الإف بي آي في عمارة الفدرال التي تحوي فقط مكاتب التحقيق الفدرالية والمحاكم الفدرالية ومؤسسات فدرالية أخرى أي ذات طابع حكومي .
خلال الطريق كان محمد يفكر : ما الذي يريدونه مني ؟!
ما الذي فعلته ؟ أي جريمة ارتكبتها ؟
لماذا القلق ، ربما يسألوني عن شخص آخر ؟
لكنني لا أعرف شيئا عن أحد إلا كل خير ؟
ربما سيسألونني عن أشخاص يعملون في التهريب، بدون إقامة شرعية ؟؟ لا أعرف هذا ليس شغلي، لكن ماذا لو سألوني عن العمال الذين يعملون معي بعضهم ليس معه كرت إقامة ؟؟ لكن لا يعرفهم أحد، إنهم مكسيكيون ولا يتكلمون الإنكليزية .

أ أ أنا لا أعرف شيئا ، لا أحمد ولا غيره، لن أكون جاسوسا لهم ولن أقدم لهم شيئا، طز فيهم، ليذهبوا للجحيم .

كان قلقا لأبعد الحدود ، خائفا مرعوبا ، كأنه ارتكب جريمة قتل، مع أنه كان يحاول أن يوهم حسنا أنه غير خائف .

اسم الإف بي آي هنا مرعب لبعض الناس خصوصا الوافدين الجدد أو المجرمين تماما مثل اسم المخابرات في الدول العربية التي تكسر باب شقة المتهم لتعتقله دون أن يكون له أية حقوق حتى الاتصال بمحام للدفاع عنه. على الأقل هنا قدموا لي كرتا ولم يشتمني أحد .

رغم ذلك أنا خائف، نعم في الأردن يضربون لكن هنا يحاربونك بكل شيء فما الفرق؟

يبدو إني وصلت ، هذا هو العنوان
أدخل سيارته للموقف ـ الكراج ـ وتوجه بعد أن نزل منها إلى مكتب ستيفن .

في مدخل العمارة كان عليه أن يخضع للتفتيش قبل أن يصعد للطابق الخامس وهناك استقبلته السكرتيرة من خلف الزجاج الذي يبدو أنه واق للرصاص.
- هلو كان آي هلب يو ـ هل لي أن أساعدك
- نعم أنا هنا لمقابلة السيد ستيفن
- ما اسمك إذا سمحت؟
- اسمي محمد ....
- انتظر هناك على الكرسي حتى أخبره
لم تمض سوى دقيقة حتى فتح الباب وخرج منه ستيفن
- سيد محمد مرحبا بك، تفضل
- مرحبا

دخل محمد إلى الداخل وسارا في رواق طويل حتى وصلا إلى مكتب كبير فيه طاولة وعدة كراسي وأوراق وقلم وملفات. نظر محمد للملفات بسرعة وقال في نفسه : ما هذه الملفات؟ أكلها لي أم يريدون أن يخدعوني؟ الظاهر أنهم لن يتركوني أعيش بسلام .

تفضل اجلس هنا قال له ستيفن
جلس محمد وهو متشوق لمعرفة ماذا يريدون
فجأة دخل الغرفة شخص آخر عرف عليه ستيفن، هذا المحقق كيني، سيكون معنا في الاجتماع

جلس الجميع فبادر ستيفن محمد سائلا

- الاسم ؟
- محمد ...

أجاب محمد على جميع الأسئلة التي تتعلق بشخصيته وفجأة سأله :

- لقد حضرت قبل سنة من ولاية نيو جرزي إلى هذه الولاية، فلماذا جئت هنا ؟؟
- جئت أبحث عن فرصة عمل أخرى
- هل العمل هنا أفضل؟
- نسبيا نعم
- ماذا تعمل؟
- مقاول بناء
- مع من تعمل هنا؟
- مع كل الناس
- هل زبائنك كلهم من العرب؟

- لا طبعا من كل الأجناس
- قبل فترة عملت في بيت أسعد النجار ، هل تعرفه
- نعم ، أعرفه
- هل دفع لك نقدا؟
- نعم
- كم دفع لك؟
- هل أحضرتموني لتسألوني عن النجار ؟؟ ما علاقتكم أنتم بما قبضت منه ؟؟
- علاقتنا أنك تقبض أكثر من القيمة التي تدعيها لمكتب الضريبة ولأنك تقبض نقدا فهذا يسهل عليك التهرب من الضريبة
- ليس صحيحا
- محمد هل حصلت على الجنسية الأمريكية؟
- لا ليس بعد، ولكن أحمل كرت الإقامة
- هل تعلم أنك عندما تقدم طلبا للحصول على الجنسية عليك أن تحصل على تقرير من عندنا وإلا تعطل طلبك
- لماذا يتعطل ولم أرتكب أية جريمة ؟؟
- يكفي أن نقول إنك مشبوه وتشجع الإرهاب
- أي إرهاب ؟ أنا ضد الإرهاب في كل العالم
- بن لادن
- ومن قال لكم إنني أؤيد ابن لادن ؟
- أنت تذهب للجامع
- وهل من يذهب للجامع يذهب ليؤيد بن لادن ؟
- لم نقل ذلك لكنك تعرف أن بعض الحاقدين على أمريكا من الإرهابيين يستغلون الجوامع للتحريض ضد أمريكا .
- وما دخلي أنا بذلك؟
- انت من المؤكد تسمعهم ويمكنك مساعدتنا لكي نلقي القبض عليهم

- كيف ؟
- نعطيك جهاز تنصت كل يوم جمعة تحمله في جيب القميص، جهاز صغير جدا مثل زر القميص وخلال حديثك مع المصلين تناقشهم في ابن لادن وما يعمله وتختار من تعتقد أنهم معادون لنا واترك لنا الباقي
- يعني تريدونني أن أكون جاسوسا؟
- هذا يسهل حصولك على الجنسية ؟؟ وإذا نجحت يمكن أن ندفع لك فلوس .
- أنا لا أقدر أن أقوم بالمهمة، دعوني وشأني .
- حسنا محمد، لكن توقع أن يتم التحقيق معك بتهمة التهرب من الضرائب .
- من قال لكم إني أتهرب من الضرائب ؟؟
- عليك أن تثبت ذلك للضريبة ، لكنك تعلم أن هذا يتطلب وقتا ومحامي ووو يعني سيكلفك الكثير حتى لو كنت بريئا
- أنا الآن أريد الاتصال بمحام
- من محاميك ؟
- سأبحث عن محام مناسب
- لكنك أتيت بدون محام، يعني كنت ترد على الأسئلة بشكل جيد ، يبدو إنك خائف أو تخفي شيئا.
- لا لست خائفا، ولا أخفي شيئا لكن من حقي أن أدافع عن نفسي.
- نحن لم نتهمك بعد، لكن من مصلحتك أن تساعدنا فالمحامي سيكلفك الكثير، ربما عشرون ألف دولار؟
- عشرون ألف دولار؟ وهل أنا متهم بشيء
- لا ولكن من يدري، انظر إلى هذه الملفات كلها لك وقد بدأنا بدراستها وسنعثر على مخالفات كثيرة بالتأكيد.
- أطالب بحقي توكيل محام.

- حسنا معك يومين ليتصل محاميك بنا، لكنك غير ملزم بدفع فلوس إلى المحامي وأنت غير متهم أصلا بشيء، كل ما نريده منك التعاون من أجل القبض على أعداء أميركا، فأنت تعيش هنا ويهمك مصلحة البلد.
- صحيح لكني لست جاسوسا.
- نحن لا نريدك أن تكون جاسوسا لكن تذكر يمكننا مساعدتك أيضا.

فجأة تذكر محمد كلام حسن له في الجامع، سوف يخدعوك لا تذهب لهم وحيدا بدون محام، لن يعتقلوك إلا إذا كان لديهم لائحة اتهام جاهزة. تشجع قليلا وقال:

- لن أجاوب بدون محام.
- او كي بإمكانك المغادرة وعلى محاميك أن يتصل بنا خلال يومين وإلا ....
- حسنا سأعلمه ذلك.

نهض محمد عن الكرسي وخرج من المكتب غاضبا وخائفا في نفس الوقت ، بعد أن استقل سيارته متوجها لا يدري إلى أين، بدأت الأفكار تتوارد إلى ذهنه .

الله أكبر ما هذا الظلم؟

لن يتركوا أحداً من شرهم ولم يبق إلا أن يزرعوا كاميرات مراقبة على المصلين، ألم يجدوا غيري ليعرضوا عليه التجسس على المصلين؟

لا لا لن أعملها حتى لو مت، معقول؟ أنا بعد هذا العمر أصبح جاسوسا على العرب والمسلمين؟

هذا يؤكد أن لديهم جواسيس الآن يعملون في الجوامع وفي المؤسسات العربية ، ويريدون ربما عددا أكبر.

وماذا يعني هل الصلاة ممنوعة؟

أخرج هاتفه من جيبه واتصل بحسن

- حسن أين أنت
- أنا في المحل على شارع سنترال
- أنا قادم لأراك
- أنا بانتظارك

دقائق وكان محمد يروي لحسن ما جرى معه

- قلت لك لا تذهب إليهم لكن لم تسمع كلامي
- يا حسن خفت إن لم أذهب يشكوا بأني أتهرب من جريمة ارتكبتها.
- الآن ماذا تنوي العمل؟
- لا أعلم أنا فعلا خائف أن يعملوا على تعطيل حصولي على الجنسية الأمريكية بعد شهرين .
- ولنفترض إنهم عطلوا ذلك، لن تقوم القيامة. من يسمع يعتقد إنك تعيش في المريخ. أليس لديك جواز سفر أردني؟
- ياحسن أنت تهون المسألة لأنك تحمل الجواز الأمريكي ولا يهمك الموضوع؟ أنت تعرف أن الجواز الأردني لا يسمح لي أن أتنقل كما أريد فحتى الدول العربية يشترطون عليك الحصول على الفيزا إن كنت أردنيا لكنهم يفتحون لك أبوابهم إن كنت أمريكيا؟

أليس حكامنا الذين أجبرونا أن نلهث وراء جواز السفر الأمريكي؟

- من يسمعك يعتقد إنك تسافر كل شهر ، مع أنك لم تزر أي بلد في حياتك سوى الأردن والولايات المتحدة.
- ما لنا ولهذا الكلام دعني من سخرياتك وقل لي أتعرف محاميا جيدا كي نستشيره في الموضوع.
- أعرف محاميا اسمه ثوماس ، هذا هو رقم هاتفه خمسة ستة ...إلخ
- اتصل أنت به ورتب لي لقاء قريبا معه.

- حسنا سأفعل الآن

الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم التالي، بعد أن استمع المحامي إلى محمد قال :

- محمد عليك أن تعرف أن الإف بي آي هنا وخصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر يلاحقون العرب في الولايات المتحدة .

تحت مبررات الإرهاب انتهكت حقوق كثيرة .

الإف بي آي لهم امكانيات كبيرة وبدون حدود، نعم يمكنهم أن يحولوا حياتك إلى جحيم لو أرادوا، ولهم الكثير من الطرق، يمكنهم مراقبتك بوسائل شتى كثيرة، ربما لا تخطر على بالك، لا أريد أن أخيفك، لكن القانون الآن يجيز لهم اعتقال شخص بدون تقديم أدلة علنية في المحاكم ، يكفي أن يهمس مسؤول الإف بي آي بأذن القاضي على التهمة أو الشبهة ليتخذ القاضي قراره دون أن يعرف المتهم أو محاميه كيف يدافع . القانون يجيز لهم الآن تحت مبررات الأمن الوطني أن يقتحموا بيتك في غيابك ويفتشوه أو يزرعوا أجهزة تنصت دون معرفتك . ويتجسسون على الهواتف وأنا متأكد أن كل عربي هنا يراقبون مكالماته .

رغم ذلك فهم لا يضيعون أوقاتهم في ملاحقة أشخاص لا علاقة لهم بشيء .

يبدو لي أنهم يحاولون تجنيدك للعمل معهم، وهم يستخدمون معك أسلوب الترغيب والترهيب وكان عليك من البداية أن تأتي هنا لكن لا بأس من الآن لا تتحدث معهم بشيء إلا بوجودي واعلم أنهم لا يلزمونك بالرد إلا بوجودي.
سأتصل بهم الآن وأعلمهم أنني محاميك

اتصل المحامي بمكتب التحقيق الفدرالية وتحدث مع المحقق ستيفن

- ستيفن هنا مكتب ثوماس أنا محامي محمد ... منذ الآن أنا محاميه رسميا حيث قام بتوكيلي، موكلي ليس لديه استعداد بعد الآن للحديث معكم، ولا الرد على أسئلتكم، إن كان لديكم اتهامات محددة يمكنكم تقديمها للمحاكمة.
- حسنا سيد ثوماس أشكرك على اتصالك

نظر المحامي لمحمد وقال له : لقد سمعت ما قلته للمحقق، هاك كرتي، لن يأتوك إلا إذا قرروا اعتقالك وحتى لو اعتقلوك لا تتحدث معهم بشيء، أكرر لا تتحدث معهم بشيئ، لأن كل ما تقوله لهم حتى لو كان بقصد طيب يمكن أن يستغلوه ضدك في المحاكم، أشك أن يعتقلوك فليس عندهم شيء يدينك حتى الآن. شيء أخير أريدك أن تعرفه، لو قررت أن تتعامل معهم ، لا تعد لي وابحث عن محام آخر فلن أمثل مواطنا يتجسس على أبناء جاليته ؟؟

فك يو دادي

فك يو دادي، نعم هذا ما قلته لأبي قبل أن أغادر بيته. وسأقولها له ألف مرة أخرى (هي إز مذر فكِر)، إنه ابن الزانية.

هذا ليس أبا، إنه مجرم بحق أسرته، مجرم بحق نفسه. يعتقد أنه يمتلكني كملابسه وفلوسه لأنه أبي.

لم يفهم قط ولا يريد أن يفهم أبداً أنني أصبحت ابنة واعية كبيرة، لها مشاعرها وأحاسيسها وأفكارها، وبيدها قرار حياتها.

أعرف أن ما قلته له شتيمة كبرى لا تغتفر عند العرب ولا حتى عند أي مواطن عاقل.

أنا لست مجنونة كما تتوهمون أنتم والعرب الذين تنتمون إليهم، فأنا أعرف معنى الأبوة، وأعرف أن للوالدين احتراما لدى الأبناء. لكني أعرف أيضا أن على الآباء واجبات تجاه أبنائهم، فماذا قدم والدي لنا؟ هل يكفي الأكل والشرب لتربية الأبناء؟

منذ وعيت ووالدي يعيش ونحن في مدينة شيكاغو الأمريكية التي تقع في ولاية إلينويس والواقعة في الوسط الشرقي من الولايات المتحدة.

كان والدي يذهب صباحا للعمل ويعود منتصف الليل وأحيانا بعد ذلك بقليل، وكان يعمل سبعة أيام في الأسبوع وليس له إجازة أسبوعية كما كان يقول، فلم نكن نراه إلا قليلا فنشتاق إليه.

كان يمتلك محلا لبيع الخمور في إحدى مناطق السود الواقعة في القسم الشرقي الجنوبي من المدينة.

وعندما كنا نطلب منه أن يأخذنا للنزهة كان يقول لنا:

مشغول يا أولادي مشغول. أنا أعمل ليل نهار لأربيكم! حتى والدتي لم تكن مرتاحة معه، فكثيراً ما صحوت فى الليل على صراخها، كانت أمي تقول له:

- عليك أن تضع حدا لهذه الحياة، عليك أن تغير أوقات عملك. أعطنا جزءاً من وقتك. أنا مسجونة بين أربعة حيطان هذا حرام.

فيرد عليها والدي

- أنسيت العز الذي تعيشين فيه؟

لولا حذائي لما كنت في أمريكا، أنا أعمل لأجلكم، عليك أن تشكرينني لذلك.

- يا حبيبي، يا روحي، والله طلعت روحي، هذه ليست عيشة، نحن في سجن، والله زقازيق بلادنا أفضل من هذه العيشة التي تعيرني بها.

وعندما تكررت المشاكل بين والدي ووالدتي قرر والدي أن يزيح أمي عن ظهره فاشترى لها سيارة وهاتفا خلويا بعد أن علمها قيادة السيارة.

تنفسنا الصعداء قليلا وصرنا نخرج من البيت مع أمي لزيارة الأقارب أو صديقات أمي واستراح والدي من مطالبنا معتقدا أنه بذلك حل مشكلة العائلة. وعندما أصبحنا عائلة كبيرة - سبعة أولاد وبنات - توقفت أمي عن اصطحابنا وأصبحت تتركنا في البيت وتخرج وحدها لزيارة صديقاتها أو للتنزه معهن، وصارت مسؤولية البيت تقع على رأسي.

لم نعد مع مرور الزمن نسأل إن حضر أبونا أو لم يحضر فلم يكن وجوده يعني لنا سوى كثرة تدخلاته فينا.

كان دائما يقول لي :

- يا سميرة إياك أن يضحك عليك ولد من الأولاد! من المدرسة للبيت مفهوم .

- حاضر يا والدي.

كان يكرر علي عبارته تلك كلما رآني حتى مللت رؤيته. لم أسمعه يوما يحذر أخي سمير الأصغر مني عن علاقاته مع بنات المدرسة فكل تحذيراته كانت تتوجه لي أنا.

لم أفهم لماذا علي ألا أحدث الأولاد وأختلط بهم؟

بصراحة كنت أتعمد الحديث مع الأولاد نكاية به.

كانت أمي دائما تشرح لي بماذا أختلف عن الأولاد، وكانت تحذرني من مناطق معينة بجسدي وتقول لي إياك أن يلمسها أحد.. وعندما كبرت صار والدي يتلو علي بعض الآيات من القرآن ويقول لي بأن الاختلاط بالأولاد حرام وكانت أمي تعيد على مسامعي نفس الإسطوانة حتى كدت أجن، فالذي كان يحيرني لماذا لا يقولون لأخي الأصغر عن الحلال والحرام.

كل ما كانوا يقولون له:

- راقب أختك بالمدرسة، لا تترك الأولاد يخدعونها أنت رجل البيت فى غياب والدك..

عائلتنا كانت تعيش فى تناقض صارخ ما بين الواقع والنظريات كانوا يريدون تطبيق كل عاداتهم وثقافتهم ودينهم علي وحدي فوالدي الذي كان يتلو علي مواعظه كلما رآني ويقول لي هذا حلال وهذا حرام لم يوضح لي كيف يبيع الخمر والخنزير فى محله .تجرأت مرة وسألته :

- أليس بيع الخمر حراما في ديننا؟ !

- أصبحت تعرفين الحديث والحلال والحرام يا مقصوفة الرقبة؟

نعم حرام لكن نحن نبيعه للكفار بيع الخمر للكفار حلال وكل ما نفعله بهم حلال!!

والدي الذي لا يقيم للدين وزناً ولم أره يصلي مرة واحدة فى حياته يتحدث عن الكفار وكأنه هو المؤمن.

لم أرد عليه، لكني قطبت حاجبي وحركت شفتي غير مقتنعة من إجابته. ولطالما تساءلت هل هذا هو ديننا؟ من هو الذي يفتي له بذلك؟

لم أفهم من الإسلام شيئا سوى هذا حلال وهذا حرام، فإن ظهرت على شاشة التلفاز صورة امرأة شبه عارية تدير أمي القناة قائلة :
- هذا حرام وعيب. ولم تهتم بعد ذلك بأي شيء، فقد ملت تربية الأطفال، لم تكن تشعر أنها متزوجة، وكثيرا ما كانت تقول لنا :

- لولاكم لتركت البيت إلى غير رجعة. أنا أضحي لأجلكم.

لم تكن عائلتنا تقيم أية شعائر دينية حتى صيام رمضان لم نكن نصومه. كل ما كنا نقوم به هو الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى، حيث كان يزورنا بعض الأقارب.

عندما أكملت الـ 16 عاما قبل سنتين، حاول والدي إقناعي بالسفر إلى بلدنا الأصلية لزيارة الأقارب هناك وحتى يراني أهل البلد لعلني، كما سمعته يقول لأمي ، أظفر بعريس يستر علي! كان يريد أن يتخلص مني بالزواج حسب طريقته القديمة.

سافرنا جميعا ما عداه، وفوجئت أن بعض الذين كانوا يستقبلوننا بالمطار، كانوا من الذين جاءوا لخطبتي قبل أن يسبقهم غيرهم، فقد كان أهم ما يطمح له شباب بلدنا هو السفرإلى أمريكا – بلد النعيم- وطبعا سيكون سهلا السفر من خلال الزواج من أمريكية.

أحد المستقبلين أرسل أهله صبيحة اليوم التالي لخطبتي، شخص آخر، جاء أهله من دون أن يراني، والعجيب أن شخصا آخر أرسل لي قصيدة شعر قال إنه كتبها خصيصا لي، لكني عرفت من إحدى قريباتي بعد أيام أنه سرقها من ديوان شعر لشاعر اسمه نزار قباني.

أحد الذين طلبوني للزواج وقبل أن يسمع رأيي بدأ يشرح لي عن الدين وضرورة لبس الحجاب وأنه لن يقبل أن تترك زوجته البيت من دون إذنه، انفجرت به صارخة :

- لا تقرأ علي مواعظك.

كلكم مثل والدي كذابون .تأتون لأمريكا زوارا أو طلابا ثم تتزوجون الأمريكيات والعربيات الأمريكيات، وبعد حصولكم على حق الإقامة الدائمة تطلقونهن دون أن تشكروهن على ما قدمنه لكم.

ها ها ها، من قال لك إني سأتزوج واحدا مثلك.

بعد سنة من تلك الحادثة سمعت أن ذاك الشخص جاء لأمريكا بفيزا طالب، وأنه بدل الدراسة يقضي معظم وقته في كازينوهات القمار. ربما كان يقامر هناك على ما تبقى من مواعظه الدينية.

غضب والدي لأنني رفضت الزواج من كل العرسان وأعطاني مهلة حتى أتراجع عن قراري لكنني لم ألتزم بأي قرار، فأنا المسؤولة الوحيدة عن نفسي. وقد ولى زمان عبودية المرأة.

كان والدي يتوهم أن خيانته لأمي لن يكشفها أحد، فلم يكن يعرف أن المرأة أذكى من الرجل فى اكتشاف الخيانة، إذ يكفي أن تشم عليه رائحة العطور مع أنه راجع من العمل في محل للخمور، فكيف عندما تشم عليه رائحة عطور نسائية؟ أو ترى آثار أحمر الشفاه على وجهه بعد أن نسيها، أو تشم رائحة حيواناته المنوية لأنه لم يغتسل أو ترى آثارها على كلسونه فى الصباح.. أو.. أو..

فى أحدى الليالي حصلت مشكلة كبيرة بينهما.. طوشة كادت أمي تتصل بالشرطة فقد جاء والدي سكران تفضحه رائحة الخمور المنبعثة من فمه. وقد أصر والدي على أن تصحو والدتي لتعد له طعام العشاء رغم أن الساعة كانت حوالي الثانية صباحاً،

لكن والدتي رفضت ذلك وقالت له إنها كانت نائمة وكان بإمكانه أن يعد الطعام بنفسه، لكن إصراره فجر الصراع.

- لن أحضر لك الزفت، اذهب وكل مع عشيقتك يا خائن يا غشاش .

- أنت وأبوك وكل عائلتك الغشاشون يا حيوانة .

- أنت حيوان وألف حيوان يا صايع يا ضايع يا سكير .

- أنا أحسن من كل أهلك الغجر الشحاذين .

- أهلي أشرف منك ومن رائحتك النتنة .

- اخرجي من البيت قبل أن أذبحك .

- اسمع خلي الليلة تعدي على خير حتى لا أتصل بالشرطة ليسحبوك مثل الكلب .

- أنا كلب، أكيد أهلك لم يعلموك الأدب يا قليلة الأدب.

بعد ذلك يبدو أن والدي اختصر الطوشة مع والدتي لأنه يخاف من الشرطة فهو يعرف أن الشرطة هنا في صف المرأة وإذا تأزمت المشاكل فهو الذي سيطرد من البيت لذا جاء يوقظني أنا لأعد له طعامه ففعلت ذلك مرغمة. كنت أقرف من رائحة الخمر المنبعث من فمه، وكنت أمام كل ذلك أعيش حالة صراع مستمر، أين الحلال وأين الحرام؟

كنت أنا وإخوتي وأخواتي من يدفع ثمن هذه الصراعات وتلك التناقضات.

لماذا يختار والدي ما يناسبه ليعتبره حراما ويمارس ما يحلو له دون التفات للحلال والحرام.

لماذا يطلب منا أبونا أن نمارس شيئا هو يمارس عكسه؟

لماذا لا أفعل ما أراه مناسبا لي كما يفعل هو؟

لقد تجاوزت سن الـ 18 الآن ولا يحق لأحد أن يقرر نيابة عني مصير حياتي، فأنا أعيش في أمريكا وليس في بلاد العرب المتخلفة حيث يبيع بعض الأهل ابنتهم لمن يدفع أكثر.

في الشهور الأخيرة لحياتي الدراسية في المدرسة تعرفت على شاب أمريكى أبيض، كان وسيما ومرحاً، يسمع مشاكلي، يواسيني، يهتم بي بما يرضي غروري.

توطدت بيننا العلاقة حتى أصبحت أشعر بانسجام معه وربما كنت أرى فيه الشخص الذي أهرب إليه من جحيم عائلتي.

كان لأخي الأصغر منى (15 عاماً) صديقة أمريكية، أحضرها معه يوما للبيت فاستقبلتها أمي وصارت تحدثها عن بلاد العرب والمسلمين وقدمت لها الشاي والجاتوه، وقالت لأخي سمير، صديقتك جميلة يا سمير وخفيفة دم.

سألتها يوما هل يمكنني أن أحضر صديقي إلى البيت لتتعرفوا عليه لحقتني بالمكنسة وصرخت بي :

- يا عايبة، أتصاحبين من وراء ظهرنا؟

أتريدين جلب العار لأبيك ولنا، تفوه عليك بنت منحرفة.

كل هذا لأنني طلبت أن أتساوى وأخي في البيت. كنت سأتفهم موقفها لو عاملت أخي بنفس الطريقة، لكنها كانت تردد أسطوانة أبي :

- سمير شاب ورجل والرجال لا يجلبون العار لأهاليهم.

يا الله، كل مرة يحدثونني بأسلوب مختلف، فمرة يقولون لي هذا حرام ومرة يقولون لي الرجل يجوز له ما لا يجوز للمرأة، ومرة أخرى يقولون هذه عاداتنا وأحيانا يتذرعون

بالدين حتى أصبحت أكره أي حديث عن الدين. وكلما مرت الأيام ازددت تصميما على الاستقلال برأيي وحياتي خصوصا وأنني تجاوزت الثامنة عشرة قبل شهر، وأصبح من حقي القانوني أن أقرر ما أراه مناسبا لنفسي.

طلب مني صديقي ستيف أن نخرج للعشاء معا والذهاب إلى أحد النوادي الليلية المخصصة لمن هم دون الواحد والعشرين من العمر.

وافقت من دون تردد، وقضيت معه سهرة جميلة لأول مرة فى حياتي، جلسنا فى أحد زوايا النادي على نفس المقعد الطويل.

اقترب مني حتى التصق بي وبعد لحظات وضع يده على كتفي. شعرت بحرارة تسري فى جسدي، كان يهمس فى أذني كلامه المعسول بأنه يحبني، كانت أنفاسه تشحنني وتثير النار في جسمي، ورائحة العطور التى استخدمها كانت تدفعني أكثر للاستسلام.

كنت أستذكر كلمات أمي بأن ذلك حرام، وتوصياتها لي بألا أسمح لأحد أن يضع يده على جسمي، لكني شعرت بقوة غريبة تحطم كل إمكانية لي للمقاومة أو الرفض.

ازدادت ضربات قلبي عندما طبع أول قبلاته على شفتي ، قشعريرة سرت في جسدي، شعرت بلذة غريبة.

هل أنا أمارس الحرام اليوم؟ فلماذا يمارسه أخي وأبي دون أن يعترض أحد.

طلب مني ستيف أن أرقص معه، فرقصنا على أنغام موسيقى هادئة (سلو دانس)، ضمني لصدره فتناثر نهداي الممتلئان حتى خرج نصفهما من تحت الملابس، فبدأ يقبلهما كالجائع، حاولت أن أمنعه لكني استسلمت فى النهاية.

انتهت السهرة وعاد بي ستيف بسيارته للبيت، فطلبت منه أن يوقف سيارته قبل بيتنا بحوالي 200 متر – بلوك - حتى لا ينتبه من بالبيت حين نزولي من السيارة.

أوقف ستيف سيارته ونزل لوداعي، تعانقنا، وطبع آخر قبلاته على شفتي وبينما نحن فى غمرة تبادل القبلات، فجأة توقفت سيارة بالقرب منا، خلف سيارة ستيف، ونزل منها شخص اعتقدناه فضوليا فإذا به والدي يصرخ علي

- يا عاهرة، يا شرموطة .

فهربت مسرعة للبيت أستنجد بأمي، بينما استقل ستيف سيارته وهرب.

لحقني والدي بعد أن أوقف سيارته أمام البيت وبدأ يضرب بي يمينا ويساراً، لم يترك قطعة من جسمي لم تصلها اللكمات والركلات، حتى احمرت عيوني ونزفت الدم من فمي وأنفي ولم أعد أقوى على الحراك. لم يترك والدي وهو يضربني كلمة سافلة إلا ووصفني بها .فمن عاهرة إلى شرموطة، إلى قحبة، إلى منحطة، إلى من تجلب العار لأهلها ..الخ .بعد ذلك جرني للغرفة السفلى وربطني بالسرير ثم أغلق علي الباب .حاولت أمي أن تحجزه عني، لكن بعد أن سمعت عما رآه تركته يفعل ما يريد، وقالت لي :

- تستاهلي يا سافلة، تفوه عليك، فضحتني، ليتني لم ألدك.

حتى أخي سمير كان موافقا على ضربي أما بقية إخوتي وأخواتي الصغار فكانوا نائمين ولم يسمعوا شيئا وإن سمعوه فقد تعودوا على صراخ والدي ووالدتي علي .
بعد أن هدأت الأمور سمعته يقول لأمي :
- حضري الحقائب غداً، سوف أحجز لكم مع أول طائرة تتجه إلى بلادنا. عليك أن تبقيها هناك حتى تتجوز أو تموت أينقصنا فضايح آخر الزمان .كل هذا بسبب تربيتك المنحطة .فردت أمى عليه :

- اسمع خل الأمور ماشية، حتى لا تجنني بكلامك التافه .أنسيت نفسك وأنت تعود لنا سكران فى منتصف الليل؟.أين دورك كأب؟ لم يسمعوا منك كلمة واحدة تذكرهم أن لهم أباً .

اختصر أبى الحكاية مع أمي، واتفقا على السفر.

لم أرد السفر إلى بلادنا الأصلية، فأنا ولدت هنا ولا أريد العيش في بلاد لم أعرف عنها الكثير ولم أزرها سوى مرة واحدة ولم أعش بها طفولتي ولا أتكلم لغة أهلها إلا قليلا والأهم لا أعرف فيها أحدا وقرار السفر أو عدمه يجب أن أتخذه أنا لا والدي أو والدتي أو حتى زوجي فى المستقبل.

لم أستطع النوم فى تلك الليلة، كانت الآلام تغطي كل جسمي ولم أذهب للمدرسة فى اليوم التالي-رغم قرب الامتحانات النهائية- فقد منعني والدي من الخروج من البيت نهائياً.

عاد والدي بعد ظهر اليوم التالي، يحمل تذاكر السفر لي ولأمي وأختي الصغيرة أما البقية فقد تعهد والدي برعايتهم بمساعدة أخي سمير. كانت تذكرة أمي لمدة أسبوع أما تذكرتي فكانت بدون عودة،

ثارت ثائرتي بعد أن عرفت ذلك لكنني تمالكت نفسي فليس أمامي إلا الهرب .جاء والدي يحاول أن يسترضيني حتى أهيئ نفسي للسفر فقد كان يخشى أن أمتنع عن ذلك فى المطار أمام أفراد الشرطة فأفسد عليه خطته. لذا حاول إقناعي أنه سيعيدني بعد أن تهدأ الأمور وأتزوج بابن الحلال وتعهد لي أنه لن يغصبني على الزواج من أحد لا أحبه.

ذهبت للحمام لأعد نفسي للسفر في مساء اليوم، نظرت لوجهي بالمرآة فهالني ما أنا عليه. عيوني منتفخة، وشفتي اليمنى مجروحة، كان صدري مليئا بالجروح من

أظافر والدي القاسية ولم يسلم جبيني من جرح آخر. كان منظري مرعبا فبكيت بحرارة وصرت أفكر كيف أهرب من البيت.

فتحت غرفة الحمام خفية دون أن ينتبه أحد .كان الجميع مشغولين، فتسللت إلى أقرب جهاز هاتف ورفعت السماعة واتصلت بالشرطة ثم أغلقت الخط وعدت للحمام.

لم تمض عدة دقائق حتى كان أفراد من الشرطة يقفون على الباب يطرقونه، فتح والدي الباب وتفاجأ بهم

- مرحبا هل يمكنني أن أخدمكم؟

- نظر الشرطي إلى والدي، وسأله، هل أنتم بخير؟

- نعم كل شيء على ما يرام. قال أبي.

كان الشرطي يعتقد أن العائلة قد تكون مهددة، أو أن ثمة من يهددها في البيت وأن أحد أفراد الأسرة اتصل خفية.طلب الشرطي أن يتفحص البيت وعندما دخل البيت خرجت من الحمام بسرعة لأقول له :

- أرجوك ساعدني، أبي ضربني ويريد تسفيري بالقوة إلى بلاد لا أريد أن أسافر إليها ليبيعني لمن يجعلني خادمة عنده.

- لا تقلقي اهدئي قال الشرطي بعد أن رأى آثار اللكمات على وجهي.
- لا تصدقها، هذه مجنونة قال والدي وحاول إنهاء الحكاية.

لكن الشرطي طلب منه عدم الاقتراب مني ووضع يده على السلاح مهدداً ثم اتصل بقوة أخرى من الشرطة التي حضرت بأقل من دقيقتين .سألني الشرطي المسؤول عما حصل فشرحت له القصة، وقلت لهم :

- لا أريد أن أرفع قضية ضد أبي لكنني أريد الرحيل من البيت أريد حمايتكم حتى أجمع ملابسي وأغادر البيت ولا أريد له أن يتعرض لي.
- حسنا أحضري ملابسك ونحن فى حمايتك.

حاول والدي التدخل فمنعوه بعد أن كبلوه بالقيود، قال لي والدي:

- سميرة ستجلبين العار لنا، ستجلبين العار لكل العائلة وعندما فشل تدخلت أمي قائلة :

- بلاش يا سميرة، لا تتسرعي، فإن ذهبت لا أنا أمك ولا أعرفك، فضحتينا يا سميرة. كل العرب فى شيكاغو سيعيرونا بك، تفوه عليك، يا ريتني ولدت حمارة ولا ولدتك.

كنت أبكي وأنا ألم حاجاتي وملابسي، أبكي لأني سأترك البيت الذي عشت فيه طوال عمري، لكني في المقابل كنت أتوق للحرية من عبودية أبي. حملت معي بعض الملابس وما أحتاجه بشكل يومي ولم أنس أن أحمل معي الإطار الذي كانت فيه صورتي مع أمي.

بكيت بحرارة وخرجت من الغرفة بعد أن ساعدني الشرطي على حمل الحقيبة . نزلت على الدرج إلى الطابق الأرضي وأخي سمير يرمقني بنظراته القاسية وقال لي للمرة الأخيرة :

- سميرة اكسري الشر وعودي، عودي لنا نحن أهلك لن ينفعك لا ستيف ولا غيره.. لكن إن ذهبت لن أتعرف عليك أبداً. لا تحمليني دمك فى المستقبل ولا تكوني وصمة عار تلصق بنا ما دمنا أحياء. إخوتي الصغار بكوا جميعا، وبكيت معهم.

كان والدي ووالدتي ينظران لي منكسري الجناح، وبعد أن اقتربت من الباب الخارجي ناداني أبي وعندما نظرت إليه قال لي هو وأمي :- تفوه عليك

أما أنا وبعد أن أصبحت بين رجال الشرطة وعلى عتبة الباب، قلت لوالدي بعد أن رفعت له يدي اليمنى مشيرة بأصبعي الأوسط إشارة شتيمة.

- فك يو دادي. فك يو دادي.. وخرجت من البيت لا ألوي على شيء بحماية رجال الشرطة.

خرجت من البيت مع الشرطة وبعد أن غادرنا المكان سألني الشرطي أين تريدين أن نوصلك؟.

سألته إن كان بالإمكان الاتصال بصديق لي، فاتصلت بصديقي ستيف عن طريق هاتف الشرطي وشرحت له ما حصل معي.

تأثر ستيف لما حصل وأسف لأنه كان سببا في ذلك ثم أكمل قائلا :
- سميرة سأكون سعيداً أن أستقبلك في بيتنا، لكن المشكلة أنني أعيش مع والدي ووالدتي ولا أستطيع أن أدعوك للبقاء معنا في نفس البيت.

لو كنت أعيش وحدي لاستقبلتك في بيتي لكن كما تعرفين فأنا مثلك طالب ولا زلت أعتمد في مصروفي على والدي، لكن لماذا لم تتصلي بصديق آخر تكون أوضاعه أفضل، أو ربما كان عليك الذهاب إلى مؤسسة حماية البنات اللواتي يتعرضن للعنف من أهاليهن .

- حسنا شكرا لك ستيف سأتصل بك لاحقا.

لم أتوقع أن أسمع من ستيف هذا الرد، لكن فعلا ماذا بإمكانه أن يفعل ما دام يعيش مع أهله ويصرفون عليه.

حرت ماذا أفعل وإلى أين أتجه، لم أكن أحسب حساب هذه الساعات، لكني كنت مصممة حتى لو نمت في الشارع بأني لن أعود إلى أبي .سألني الشرطي:

- هل قررت أين ستذهبين.

استعدت بثوان قصيرة كل من أعرفهم من أقارب وأصدقاء كنت أعرف أن أقاربي آخر من سأتوجه إليهم، فهم بالتأكيد أول من سوف يضربني ويشمت بي.

كانت قريباتي كلهن يغرن مني لأنني أجمل منهن جميعا ويكرهنني .وبينما أنا حائرة حتى تذكرت فجأة شيماء .

- يا إلهى كيف غابت عني شيماء.

فقد كانت وأهلها جيرانا لنا منذ عشر سنين ثم انتقلوا للسكن في بيت يبعد عنا حوالي خمسين ميلا، وكانت علاقتنا معهم جيدة .كانت عائلة شيماء من بلد عربي مجاور لوطننا الأصلي لكن علاقتنا معهم كانت ممتازة وكنت وشيماء التى تكبرني بعامين صديقتين رائعتين، فكم لعبنا معا، وتقاسمنا الأكل والشراب .

هل ستستقبلني يا ترى؟ وماذا لو عرفوا ماذا حصل؟ على كل حال علي أن أدبر المبيت الليلة وبعد ذلك سأرى ما العمل .قلت للشرطي سأتصل بصديقة أخرى لي .

- ألو شيماء، أنا سميرة

- من؟ سميرة يا مرحبا يا مرحبا، كيف أنت؟ آخ منك لم لا تزورينني؟
- شيماء، أنا فى مشكلة وأريد أن أنام الليلة عندك.
- معقول؟ هذه ستكون ليلة عيد، وأحمد الله أن غدا الأحد لأسهر معك حتى الصباح .ما هذه المفاجأة السارة؟ لن نتعشى الليلة إلا معك. لا تتأخري، أنا بانتظارك .
- حسنا أنا قادمة، لكن لا تخبري أحداً بذلك وسأشرح لك عند وصولي

لم أصدق ما سمعته من شيماء، حتى إنها لم تسأل أمها أو أباها. ألهذا الحد واثقة من موافقتهم؟ لم لا فأبوها كان يعاملها معاملة الند مع أخويها وكان يرفض أن يتدخل أحد في شئونها سواه. كان يدللها وهي صغيرة وينابيها يا شمشم وأقسم لها أنها ستتعلم في الجامعة أحسن تعليم لو كلفه ذلك العمل طوال عمره لأجلها.

طلبت من الشرطة أن يوصلوني بيت شيماء وأعطيتهم العنوان .بعد ساعة كنت أمام بيت شيماء بعد أن ودعت أفراد الشرطة الذين لم يتركوا المكان حتى تأكدوا من دخولي البيت.

كان استقبال شيماء لي حارا وكذلك أهلها، وعندما رأت آثار اللكمات والجروح على وجهي، فهمت أنني على خلاف مع أهلي. وزاد الأمر وضوحا حقيبتي التي لا تستخدم إلا للسفر البعيد، لم تحاول شيماء إحراجي، لذلك لم تسألني شيئا واكتفت بالقول :

- عندنا مرهم ممتاز للإصابات فى الوجه، تعالي أعطيك إياه لتستعمليه .

- أعطيها قميص نوم قالت (لها أمها) وخذيها لتأخذ حماما حتى تستريح قبل العشاء.

بالفعل كان الحمام ضروريا فقد أنعشني بعد تعب اليوم كله، لكنه لم يبعد شبح والدي عني، فبقيت قلقة ومتوترة الأعصاب، حاولت أن أبدو هادئة معهم، فقد غمروني بعطف تمنيت لو غمرني به أبي يوما ما.

كان الأب يلعب مع أولاده الصغار ويناقش الكبار منهم في شتى شئون العلم والمعرفة وحتى فى الرياضة والألعاب كان يمزح معهم، ويضحك كأنه فى عمرهم.

تناولت طعام العشاء مع عائلة شيماء، ورغم أنني كنت جائعة لكنني لم أكثر من الطعام فقد كانت نفسيتي مضطربة لأبعد الحدود.

بعد العشاء بنصف ساعة تقريبا، رأيت الجميع يتسابقون إلى الحمام، عرفت فيما بعد أنهم كانوا يتوضؤون استعداداً لصلاة العشاء.

لم يدعوني للصلاة، ربما لعدم إحراجي وأنا ضيفتهم وربما لأنهم يعرفون عائلتنا بأنها لا تصلي وربما لأن ملابسي كانت تقول لهم أنني لست من اللواتي يصلين .تركوني وراحتي ولو كنت أصلي ما احتجت إلى دعوة أحد.

لحظات، اصطف الجميع للصلاة وراء الإمام، كانت الأم في تلك الليلة هي الإمام، فقد عرفت منهم لاحقا أنه يجوز للمرأة في الإسلام أن تؤم الصلاة في أهل بيتها. وقد وقف بقية أفراد العائلة وراء الأم حتى أصغر الأبناء سنا (باسم) ابن الرابعة ، فقد ترك ألعابه دون أن يطلب منه أحد ذلك ووقف بجانب الجميع وهو يتلفت يمينا ويسارا ببراءة، ينظر لي كأنه يتساءل لماذا أنا وحدي لا أشاركهم الصلاة؟ كانت نظرات باسم تثير في ذهني أسئلة كثيرة.

لم أعرف كيف أصلي، ولم أصل يوما ما ولم أعرف الوضوء قط، ولا أدري إن كان يجوز لي أن أصلي، فأنا في نظر الأهل عاهرة وعايبة وشرموطة.. الخ .

أعلن الإمام بدء الصلاة .

- الله أكبر رفع باسم يديه مثلهم وكبر بصوته الملائكي

- الله أكبر

وقبل أن يضع يديه على وسطه، التفت إلي للمرة الأخيرة يدعوني بعينيه الصغيرتين.

كنت قلقه، متوترة، هل ألحق بهم؟ ماذا أقول؟ ماذا أفعل؟ هممت بالقيام فحرك رأسه يستحثني.

كانت براءته تدعوني للوقوف خلفه ولأكن مثله. قلت في نفسي لأجرب الصلاة مع هذه العائلة المتحابة. تقدمت خفية خلف الجميع وأعلنت الصلاة، كنت أعمل مثلما يعملون دون أن أعي أي شيء. كان إحساس غريب قد تملكني، فتح قلبي لهؤلاء الناس ولدينهم القائم على المحبة .نتهت الصلاة وسلم الإمام .

- السلام عليكم ورحمة الله، قالتها مرتين فرد الجميع مثلها وعندما هموا بالوقوف فوجئوا أنني خلفهم .

جاءني باسم مسرورا، مد يده مصافحاً تقبل الله فقلت له

- تقبل الله، ثم قالت شيماء

- اعذرينا، كنا نعتقد إنك لا تصلين، والصلاة بالنيات ولكن في المستقبل عليك أن تتوضئي وتلبسي ثياب الصلاة.

- نعم أنا لم أكن أصلي، وهذه المرة الأولى التي أصلي فيها لكنني لم أتوضأ مثلكم ولم أقل شيئا سوى السجود مثلكم .رد علي والدها قائلا :

- يا ابنتي سعادتنا بك لا توصف، واعلمي "إنما الأعمال بالنيات". ويسعد شيماء أن تعلمك الوضوء والصلاة إن أحببت .

- طبعا يا بابا، سأعلمها وأصلي الفجر معها (ردت شيماء) .

وأخيرا أسمع كلمة يا ابنتي بحنان من هذا الرجل الغريب عني، كم تمنيت أن اسمعها من والدي، كان والدي دائما يصرخ بي :

- يا سميرة أحضري الأكل

- يا حمارة هاتي الحذاء
- يا حيوانة أين الملابس الجديدة.

لماذا يا رب لم تخلق هذا الرجل ليكون أبي؟

سألتُ والد شيماء :

- أيغفر الله ذنوب الإنسان؟

- يا ابنتي كلنا ارتكبنا الذنوب بحياتنا ولولا رحمته ما دخل أحد منا الجنة

ربتت أم شيماء على كتفي

- كفكفي دموعك يا سميرة، وددت لو كنت ابنتي .وضمتني لصدرها الحنون .

كم أنا بحاجة لصدر الأم الحنون.. وضعت رأسي على كتفها واستسلمت للبكاء الطويل.

من أجل ولدي

أنهى شوقي عمله مساء أحد أيام الجمعه ، وكان متعبا بعد عمل يوم متواصل فى شركة البناء التى يشتغل بها في مدينة أتلانتا بولاية جيورجيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

أحس بجوع شديد وهو في الطريق إلى البيت كانت، الطريق السريعة (هاي وي) مزدحمة كالعادة وهو يجاهد كي يصل إلى البيت لكي يستريح من تعب اليوم ويستعد لعطلة نهاية الأسبوع. فقد قرر أن يخرج صباح اليوم التالي مع زوجته لوريتا المكسيكية الأصل وابنه إبراهيم الذي سماه تيمنا بالنبي إبراهيم- أبي الأنبياء-

كم أحب هذا الولد، قال شوقي لنفسه لا أدري ماذا سيحصل لي هنا لو أصابه مكروه.

الملعونة أمه تحاول وبشكل مبطن أن تحرضه علي،لكن لا لن تنجح فسوف أفشل خطتها. هذا ابني ووريثي بكل شيء، هكذا اتفقنا منذ البداية، قلت لها لنتفق على الأولاد فوافقت على شروطي لكنها تحاول التملص من اتفاقها السابق.

أعرف أنه ابنها ولم أعترض على تربيتها له ونحن متفقون على كل شيء لكنها تخرج عن طورها أحيانا، لا أدري إن كانت بكل قواها العقلية.

وصل شوقي إلى البيت، رن جرس الباب، فلم يفتح أحد . رن مرة أخرى، فلم يفتح، اعتقد أنها مشغولة ففتح الباب بمفتاحه، ثم نادى لوريتا، أنا شوقي وصلت، هل العشاء جاهز!

إبـراهيم أيـن أنـت أيهـا الشـقي ؟! أحضـرت لـك الكانـدي . لـم يـرد عليـه أحـد . استغرب ذلك وبدأ يتمتم:
لقد قالت لي إنهـا سـتعد عشـاء فـاخرا الليلـة ، لابـد أنهـا ذهبـت للتسـوق قبـل عودتي وتأخرت بسـبب زحمـة المواصـلات ،حسـنا لابـد مـن حمـام سـاخن قبـل عودتها. فتح باب الكراج فلم ير سيارتها هناك، فعرف أنها خرجت من البيت.
خلع ملابسـه وأخذ حماما سـاخناً، شـعر بعـده بالراحـة التامـة، وزال عنـه كـل مـا أحس به من تعب.
لبس ملابسـه البيتية ثم جلس يشـاهد التلفزيون غريب أمرها قال فى سره..
تأخرت كثيراً فاتصل بصديقتها روزا التي قالت له ..
- أنا لا .. لا أعرف أين هي، لم أرها منـذ يـومين، ثـم لمـاذا تعتقـد أنهـا عنـدي، لا ليست عندي، أنا لا أتدخل بينكما.
- شـكراً روزا ، ثم أغلق الخط.
غريـب أمـر هـذه المـرأة ، سـألتها سـؤالا واحـداً ،هـل عنـدك لوريتـا؟ فأجـابتني بمحاضرة طويلة وكان بإمكانها أن تقول لا وتغلق الخـط، يبـدو أن فـي الأمـر شـيئا سـيئاً.

اتصل بمعارف وصديقات لها فأنكرن معرفة أين هي .
أين تكون قد ذهبت؟.
لعل في الأمرخيرا دعني أنتظر قليلا لعلها تأخرت في أحد المولات الكبيرة أو لعـل إبراهيم أجبرها أن تشـتري له البطاطا من مطعم المكدونالـد . أعرفـك يـا إبـراهيم تحب البطاطا كثيرا خصوصا مع البندورة(كتشـاب).

انتصف الليل ولم يعد أحـد. زاد قلـق شـوقي ، لابـد أن فـي الأمـر مشـكلة، مـن الممكن أنهما تعرضا لحادث سير فالمواصلات هنا صعبة والسيارات بالآلاف وهناك الكثير من المجانين الذين يسرعون بطريقة جنونية.

يا رب احفظ إبراهيم من كل سوء . يا رب لا تعرضه للخطر لابد من الاتصال بقسم الطواريء .

اتصل شوقي بالشرطة وأعلمهم بالخبر، زوجة وابنها البالغ من العمر 8 سنوات لم تعد للبيت خرجا بسيارة شيفروليه – إمبالا رقمها.. ، لون السيارة حمراء، ثم أعطاهم أوصاف الأم وابنها وأجاب عن كامل الأسئلة قالوا له سيرسلون بعض المحققين للبيت خلال دقائق.

بعد دقائق حضرت سيارة الشرطة، 3 أشخاص نزلوا منها أحدهم بلباس مدني،عرف منه أنه المحقق جان براون، شرح لهم شوقي القصة كما حصلت معه،وأوضح لهم أنه اتصل بكل من يعرف من صديقاتها ومعارفها فأنكرن جميعا معرفة أين ذهبت. طلب المحقق من شوقي أن يفحصا البيت وقرر أخذ البصمات عن جميع أقفال الأبواب فسأله شوقي.

- هل تشك أن أحداً خطفهما؟.

- لا أستطيع الجزم بشيء ،لكن علينا إتمام مهمتنا حسب أصولها، كل الاحتمالات واردة. دخل الشرطى غرفة النوم، تفحص الأوراق في الجوارير والخزانة، فجأة نادى شوقي..

- سيد شوقي هل لك أن تحضر هنا.

ذهب شوقي فإذا بالشرطي الذي أوكلت له مهمة تفتيش غرفة النوم يسأله:

- أين ملابس زوجتك؟ لا أرى شيئا هنا؟.

نظر شوقي للخزانة فلم ير أي شيء له علاقة بلوريتا ولا حتى بإبراهيم. استغرب الأمر وقال:

- يا إلهى، ما هذا، هل عملتها وهربت؟ أيكون لها عشيق هربت معه وتركتني؟ لا لا يمكن.

حضر المحقق من الغرفة الأخرى ليرى الخزانة فارغة إلا من ملابس شوقي فقال له:

- سيد شوقي عليك أن تهدأ ، كل الاحتمالات واردة.

- أية احتمالات . أنا يهمني ابنى و لتذهب للجحيم.

وبدأ يصرخ منفعلا لا يدري ماذا يقول:

- سيد شوقي قد تكون هربت لكن لا يزال احتمال أنها خطفت واردا!

- كيف؟.

- ربما خطفهما شخص أو عصابة أو قتلوها ثم سرقوا الملابس ليوحوا لنا أنها هربت مع ابنها . وهناك احتمال آخر مستبعد الان.

- ما هو؟

- ليس الآن وقته.

- حسنا ما العمل؟.

- دعنا نكمل اجراءاتنا ، اهدأ قليلا واسترح فى غرفة الجلوس أو ابحث لنا عن آخر صورة للمفقودين .

ذهب يبحث فلم يجد أية صورة.

عملتها المجرمة أخذت معها كل الصور، وشهادات الميلاد وشهادات المدرسة، لا لقد هربت، لم يخطفها أحد لماذا يخطفونها، ليست ملكة جمال حتى يتسابقوا لها ولا صاحبة مال.

فجأة تذكر:

مد يده إلى جيبه ، أخرج محفظته ومد للمحقق صورة صغيرة يحتفظ بها في محفظته منذ 3 سنوات، قال له المحقق أفضل الصورة المعلقة على الحائط فهي أحدث وأكثر وضوحاً.

صحيح ، غاب عن بالي الصور المعلقة ،نعم خذها لكن أرجو إعادتها بعد ذلك.

أنهى المحقق عمله ، قدم لشوقي كرته الذى يحوي اسـمه ورقـم هاتفـه ومنصبه وطلب منه أن يتصل به إذا سمع معلومات جديدة ثم خرج.

جلس شوقي وحيداً فـي البيـت يبكـي لا يعـرف مـاذا يفعـل بعـد منتصـف الليل، أين يمكن أن تكون الآن؟ .. لا أصدق ما فعلته ، هل وصلت بها الجرأة لهذا الحد هل هربت لولاية أخرى؟ لكن كيف سـأجدها؟ هـذه مهمـة فـوق طاقتي لكنـي لن أقف مكتوف الأيدي. هل يمكن أن تكون قد عـادت لبلـدها الأصلي؟ لـم لا، لكـن كيـف يمكـن لهـا أن تعـيش هنـاك فـي تلـك المدينـة الصغيرة التي تشبه قرية خالية ومن أجل ماذا؟ من أجل إبراهيم الـذي لـم أحرمها منه؟ لم أحرمها منه ، هـانحن عائلـة واحـدة، كـل شـيء علـى مـا يرام، لكنها كلما ذهبت إلى الكنيسة مع صديقتها روزا عادت وقـد تغيـرت ، دائمة الحديث عن المسيح، تريد أن تأخذ إبراهيم إلى هناك، لن أسمح لها بذلك، فالولد لا يستوعب أن يشرح له الأب عـن ديـن وتشـرح لـه الأم عـن دين آخر لنقول له اختر ما تريد.

اتفقت معها منذ اتفقنا على الزواج، الأولاد سـأربيهم تربية إسـلامية، فقالـت لـي لك الأولاد ولي قلبك، الدين كله لله، لماذا تغيرت بعد ذلك وتريد أن تخل بالاتفاق .

هذه المرأة كادت تجنني، تصرفاتها بدت غريبة حتى إنها لم تعد تريـدني أن أخـذ الولد وحدي لأشتري له بعض الهدايا. كانت تصر علـى تعليمـه الإسـبانية لتنفـرد بالحديث معه فـي كـل شـيء ، لكننـي لـم أتركهـا تحقـق أحلامهـا فقـد تعلمـت الإسبانية قبله لذا أصبح الولد لا يعرف أي الكلمات إسبانية وأيها عربية أو انكليزية ولم تتصلح لغته إلا بعد أن التحق بالمدرسة.

لا لن تنجح لوريتا فى مهمتها ،أنا شوقي ولن يهدأ لي بال حتى أعثر على إبراهيم . صحيح إنني لم أتم الصف السادس الابتدائي لكنني لا أستسلم أبداً للمصاعب، تركت المدرسة صغيراً بسبب الفقر وفي حمص التحقت بسوق العمل المأجور وعمري عشر سنوات . دربتني الأيام وصقلتني الشوارع فأصبحت رجلاً عصاميا أعتمد على نفسي منذ صغري.

لم ينم شوقى لحظة واحدة .كان كمن تعاطى حبوبا لمنع النوم أو كمن تعاطى مخدر(المث) الذي يجعل النوم يطير من عيون الإنسان. ما إن أشرقت الشمس ،حتى لبس شوقي ملابسه وخرج لا يدري إلى أين يبحث في الشوارع لعله يعثر على دليل بقوده لزوجته.

في الطريق خطرت على باله فكرة، لماذا لا يذهب ليسأل صديقتها القديمة؟ هي الوحيدة التي لم يتصل بها ، لعله نسي الآن رقم هاتفها فلم يكن مسجلا على دفتر أرقام الهاتف، لكنه بعد نصف ساعة كان يدق الباب.

فجأة فتح الباب وخرج منه رجل عجوز ما إن رآه شوقي حتى قال

- صباح الخير أميغو كارلو.

- أوه صباح النور أميغو شوقي، كيف حالك يا صديقي ، لم نرك أنت ولوريتا منذ سنة، هاها ها.. هل نسيتنا لأننا أصبحنا عجوزين؟.

ابتسم شوقي أوتظاهر كذلك وقال

- عزيزى كارلو ، أنت دائما على بالنا لكن مشاغل الحياة كثيرة.

حسنا حسنا ، تفضل لا تقل لي أنك مشغول ، كورنثيان أعدت القهوة هذا الصباح وأعتقد أنك بحاجة لفنجان منها.

دخل شوقي وهو يبحث عن فرصة لبدء أسئلته لزوجة كارلو(كورنثيان) صديقة لوريتا أيام الشباب، كان شوقي وزوجته كثيرا ما يزوران كارلو وزوجته، فقد ربطتهما علاقة طيبة، لكن بعد أن تعرفت روزا على لوريتا فترت علاقتها بكورنثيان ، إذ يبدو أن روزا كانت لا تحب كورنثيان وطريقتهما فى الحياة.

سلم شوقي على كورنثيان التي رحبت به، وشدت على يديه .
- سنيور شوقي ، مرحبا بك، ما هذه المفاجأة، أين لوريتا؟
- لهذا أنا جئت لك سنيورة كورنثيان ، أريد مساعدتك ..تغير وجه كورنثيان فقالت له:
- ماذا حصل هل حصل مكروه للوريتا؟ هل تخاصمتما؟.
- خلاف بسيط كورنثيان وأريدك أن تساعديني فى حله .
- طبعا شوقي قال كارلو ، ماذا نستطيع أن نقدم لك؟
- اختصمنا أنا ولوريتا يوم أمس وغادرت البيت زعلانة، لم تقل لي أين لكني أعتقد أنها سافرت إلى أهلها في بلادكم أريد أن أسألك أن تتصلي بأهلها فى بلدكم لتعرفي إن كانت هناك حتى أذهب وأصالحها أنت تعرفين كم أحبها ،ولا أستطيع العيش بدونها.
ثم بدأ بتمتم بالعربية
- ليتها تموت ليتها تموت
فكرت كورنثيان قليلا ثم قالت:
- طبعا سنيور شوقي، لكن هل يمكن أن تذهب إلى هناك وتترك ابنها؟.
- هذا مجرد احتمال .. لا تقلقي على الولد فقد تركته عند صديق وتعرفين أن اليوم إجازة.
ومتى تريدني أن أتصل؟.
-هل أزعجك لو اتصلت الآن؟.
- أبداً سأتصل فوراً.
- أرجو أن لا تخبريها أنني هنا عندك، وإنني سألتك عنها حتى لا تزعل فهى تحرص أن تظل مشاكلنا داخلية.
صمت ثم قال:
- تعرفين ، لولا معزتك وثقتي بك لم أوضح لك طبيعة خلافنا .

- لا تقلق سنيور ،قالت كورنثيان

وأضاف كارلو

- هيا اشرب قهوتك، ودع كورنثيان تجرى المكالمة.

اتصلت كورنثيان بعد ثوان رفع الخط من الاتجاه الآخر .

-ألو..

- ألو ، من المتصل؟.

- هل نسيت يا ماريا صوتي؟.

-آ.. آ.. أوه ، أأنت كورنثيان؟.

- كيف حالك ماريا؟.

- يا عزيزتي تعبانه جداً ،الطقس عندنا حار جدا ولا يوجد عندنا جهاز تبريد مثلكم، ما هي أخبارك؟.

- ألم تخبرك لوريتا بأخباري؟ أنا عاتبة عليها لم أرها منذ سنة؟.

لا لا سوف أبهدلها اليوم، كيف لها أن تتخلى عنك وأنت صديقة عمرها منذ الطفولة لقد وصلت هنا يوم أمس؟

- الملعونة لم تقل لي إنها ستسافر، لكنت اشتريت لك هدية وأرسلتها معها ، أين هي الآن؟.

- لا زالت نائمة مع ابنها، تعرفين المسافر يصل تعباً.

- تقولين إنها حضرت مع ابنها؟.

- نعم وكيف ستتركه عند زوجها وهو يعمل فى الشركة؟ وضع شوقي أصبعه على فمه في إشارة لكورنثيان بعدم الخوض بالتفاصيل.

-أوكي ماريا سلمي على لوريتا وسنتصل بك في وقت لاحق.

أغلقت كورنثيان الخط ثم قالت لشوقي ..

- لم أفهم ما حصل ألم تقل لي إن إبراهيم عند أحد أصدقائك.

- نعم سيدة كورنثيان ، هو عندي ، أما أمها(أم لوريتا) فقد ادعت أن لوريتا هناك مع ابنها لتوحي لك أن الأمر عادي ولا يوجد أية مشكلة فكيف سيكون موقفها لو قالت لوريتا هنا وحدها؟.
وأعتقد أن لوريتا ربما هي التي خططت ذلك لأمها. لا تشغلي بالك أميغا كورنثيان سأكون فى زيارتهم بعد أيام ومعي باقة من الورد.

كان شوقي يكذب متعمدا فقد كان لا يريد أن تفسد عليه كورنثيان خطته.
قالت كورنثيان :
- أوه سنيور شوقي رائع جداً ما تفكر به ستفرح كثيراً لوريتا وتنسى خلافها معك، أين ستضع الولد؟.
- سآخذه معي لنقول للوريتا نحن بحاجة إليك!.
- هذا رائع يا شوقي، قال كارلو:
فأكملت كورنثيان..
- أسمعت يا كارلو ماذا سيأخذ شوقي للوريتا باقة ورد؟ لماذا فقط شوقي يشترى الورد للوريتا؟ ألا تستطيع كارلو عمل ذلك؟.
ضحك كارلو وقال:
- عليك أنت أن تشتري الورد لي لأنني تحملتك طيلة هذا السنين .
ضحك الجميع
وقبل أن ترد عليه كورنثيان شكر شوقي الزوجين وسلم عليهما وغادر البيت.

كان شوقى مسرورا أنه استطاع معرفة مكان ابنه وزوجته، وكان يشعر بالرضا أنه استطاع بذكائه أن يحصل على المعلومات عن طريق كورنثيان دون أن يعلمها بحقيقة الأمر ،إذ ربما لو عرفت كل شيء لما وافقت التعاون بهذا الشكل، صحيح أن بإمكاني السفر والبحث عنها هناك لكنها سهلت

مهمتي. والآن إلى مكتب سفريات لحجز تذكرة في أقرب طائرة متجهة إلى هناك..

فى الطريق فكر بالاتصال بالمحقق جان براون لمعرفة أخبار ما توصل له من معلومات وليطلعه على ما عرفه.
اتصل من هاتف عمومي بالمحقق جان فلم تكن الهواتف المحمولة قد ظهرت في ذلك الزمن، بعد عدة رنات رد عليه جان:
- ألو من المتصل؟.
- أنا شوقي ، قاطعه المحقق بسرعة..
- أين أنت بحثت عنك طويلاً؟
- خير ماذا حصل؟
- لقد وجدنا سيارة زوجتك فى المطار ونحن نبحث الآن مع شركات الطيران عن أسماء الذين غادروا يوم أمس من المطار.
- لقد غادرت للمكسيك وهي الآن عند أمها؟
- كيف عرفت ذلك؟.
وشرح له ما عمله باختصار.
- حسنا دعني أراك الآن، يجب أن أجتمع بك.

فى لقائه مع المحقق براون عرف شوقي أن زوجته وابنه إبراهيم سافرا إلى المكسيك، وعندما قال شوقي للمحقق بأن ابنه ليس لديه جواز سفر إلا إذا خططت ..
قاطعه المحقق..
- السفر للمكسيك لا يحتاج لجواز سفر!
- كيف إذن يدخل المطار، يكفي أن تذهب برخصة سواقه أو شهادة ميلاد تثبت أنك أمريكي.

- وماذا عن العودة؟
- نفس الشيء ، بماذا تفكر؟.
- لا شيء حتى الآن لكن من حقي أن أستعيد ابني.
- ونحن ندعمك يا شوقي ، نحن ندعم حق الطفل الأمريكي بالعودة للوطن الأم فإن كان الأب هو الذى يخطفه ويهرب كما يحدث كثيراً مع المسلمين المغتربين فنحن نقف إلى جانب الأم فى استعادة الطفل أما إذا خطفته الأم كما في حالتك فنحن مع الأب ، لكنا لا ننصحك أن تستعيده بنفس الطريقة، فقد تتعرض لمشاكل مع السلطات الرسمية هناك حينها لا نستطيع أن نساعدك بشيء .
- أتفهم موقفك سيد جان.

حجز شوقي مقعداً فى أول طائرة متجهة إلى بورتو فايارتا كان مصمما على إعادة ابنه حتى لو كلفه ذلك حياته، لم ينس قبل سفره أن يحمل معه بعض الوثائق الهامة مثل شهادة ميلاد ابنه الذى كان يخبئ نسخة منها فى صندوق الأمانات فى البنك بالاضافة إلى أوراق أخرى رأى أنها قد تفيده.

أقلعت الطائرة وهو يفكر بالطريقة الأفضل لإعادة ابنه
لا أعتقد أن فكرة مواجهتها مفيدة، فقد تنقل الطفل لبيت أحد أقاربها فلا أعرف أين هو وتتعقد المسألة، لذلك يجب أن أكون حكيما في تصرفي.

وصل شوقى المدينة الصغيرة الجميلة الواقعة على المحيط، حجز في أحد الفنادق القريبة من وسط البلد.

كان شوقي يتصرف كأنه قد أعد خطته بإحكام رغم إنه جاء للمكسيك لا يحمل سوى إصراره وعناده على استعادة ابنه.

في اليوم التالي استقل سيارة أجرة وقال لسائقها كم تكلف أجرة السيارة في اليوم.

- خمسون دولاراً.
- حسنا ،أريدك أن تبقى معي طوال اليوم.
- أوكي مستر أمريكانو لكن البلد هنا صغيرة ولا تحتاج السيارة طوال اليوم.
- أنا أحب أن أتفرج على هذه البلدة فأنا مصور . أحب صور الشوارع القديمة والشعبية أريدك أن تأخذني لكل الشوارع حتى الشوارع التي لا يدخلها السواح.
- أوكي، متى سنبدأ.
- غداً صباحاً الساعة السابعة.
- هذا وقت مبكر والشوارع تكون مزدحمة.
- هذا ما أحب أن أراه.
- سأكون عندك غداً الساعة السابعة.

استغرب السائق طلب شوقي، قال في نفسه ، مجانين هؤلاء الأمريكان ، يصرفون فلوسهم على الكلام الفارغ ماله وللشوارع القديمة والزبالة التى تزكم الأنوف أليس الأفضل له أن يذهب إلى الشط ليشاهد المناظر الجميلة، لكن ماذا يهمني ما يفعل. ربما يعمل كصحفي ويريد أن يبيع صور البلد.

المهم أن أقبض الخمسين دولارا مساء اليوم ، من يدري ربما يعطيني خمسة دولارات زيادة.

ظـل شـوقي فـى الفنـدق يتفقـد خارطـة البلـد وأسـماء الشـوارع حتـى استطاع أن يحدد المنطقة التى تسكن فيها والدة ماريا، وضع علامة بالقلم على الموقع ثم وضع الخارطة على الطاولة ليحملها معه في الصباح.

- حضر السائق فـى الموعدالمحـدد ، وتوجـه بـه إلـى شـوارع البلـدة الشـعبية وشوقي يصور الشوارع وأحيانا يوهم السائق أنه يصورها ويتظاهر باسـتمتاعه بها، بعد دقائق قال له بعد أن فتح الخارطة فى السيارة، مـا رأيـك أن تأخـذني إلى الشارع الفلاني ،هل تعرفه؟.

- طبعا أنا من سكان البلد.

توجه السـائق إلـى هنـاك، فبـدأ شـوقي بتصوير بعـض الأمـاكن ويـتفحص العناوين ومداخل الشوارع سأل السائق هل يوجد مدرسـة ابتدائيـة قريبـة من هنا؟.

- نعم

- هل لى أن أصور الأولاد لحظة دخولهم المدرسة؟.

- أوكي أميغو ،سآخذك إلى هناك ..

توقف السائق أمام أحد المدارس ،فيما الأولاد يتوجهون للمدرسة صباحا.
كان شوقي متخفيا عـن زوجتـه وابنـه فيمـا لـو رآه أحـدهم ، يلـبس نظـارة سوداء عريضة، وكان قد صبغ شواربه ويلبس طاقية مستديرة، مثل طواقي الكاوبوي(برنيطة) وفى فمه دائما سيجار فاخر.

انتظر شوقي ليرى ابنه فلم يره، قال في نفسه لعلها أرسلته إلى مدرسة أخرى ، أو ربما دخل قبل وصولي. فهي تسكن في تلك المنطقة ومن غيـر المعقول أن تتركه بدون دراسة، سأل السائق.

- هل هذه المدرسة هى الوحيدة القريبة من هنا؟.
- نعم ولكن يوجد مدرسة أخرى بعيدة بعض الشىء الناس المقيمون هنا لا يرسلون أولادهم إلى المدرسة البعيدة.
- حسنا، يمكنك الان إعادتي للفندق والعودة بعد الظهر قبل خروج الأولاد من المدرسة، أحب أن أصورهم وهم يخرجون بشكل جماعي.

بعد الظهر كان شوقي يتفحص كل طفل يخرج من المدرسة فجأة لمح ابنه يخرج ويسير مشيا على الأقدام إلى بيت جدته القريب من المدرسة، دق قلبه كان يود لو يخرج يضمه لصدره لكنه يعرف أن ذلك يفشل خطته، فلو تأخر عن البيت لبدأت أمه بالبحث عنه. كتم مشاعره وجفف دموعه بمنديل يحملة وطلب من السائق أن يسير بنفس الاتجاه للتأكد أن جدته ما زالت تسكن في نفس المكان. وعندما وصل الطفل إلى البيت وتأكد أنه نفس البيت القديم الذي كان قد زاره من قبل عندما كان زار المكسيك مع زوجته، منذ سنوات طويلة.

طلب من السائق التوجه للمطعم لتناول الغذاء، أصر شوقي أن يتناول السائق الغذاء معه فلم يرفض وكان مسروراً بعد الغذاء عاد شوقي للفندق ليرسم خطته النهائية.

حجز مقعدين بشركة طيران جديدة واحد باسمه والثاني باسم ابنه، وفي صباح اليوم التالي اتفق شوقي مع سائقين، الأول يأتي معه صباحا للمدرسة، ليقوم بمهمة استعادة ابنه والثاني يسير خلف الأول احتياطيا حتى لا تتعطل السيارة معه فتتعطل خطته. قال للثاني ، ستكون خلف السيارة الأولى لأن بعض الأصدقاء سيركبون معنا للذهاب في رحلة.

الساعة السابعة تماما كان شوقي أمام المدرسة ينتظر وعندما شاهد ابنه قال للسائق ،انتظر ، يجب أن أرى ابني قبل السفر.
خرج من السيارة واقترب من ابنه بعد أن خلع نظارته وقبعته وناداه إبراهيم.
- أوه بابا وركض نحوه بحقيبة المدرسة.
حمله شوقي وقبله بطريقة عادية حتى لا يلفت نظر السائق والمارة وقال له
- ألا تريد بعض الشوكلاته؟
- بالطبع بابا
- إذن تعال معي فقد أحضرت لك بعضها.
ثم توجه به للسيارة. قال للسائق:
- اذهب لأقرب مكان مكدونالدز هنا (القريب من وسط البلد) يجب أن أشترى له وجبة ساخنة .قبل المدرسة.

تحرك السائق الأول ويتبعه الثاني دون أن يدري أي منهما ما الذي يجري.
استدار لابنه إبراهيم وقال له بالإنكليزية حتى لا يفهم السائق ما يدور
- اشتقت لك يا إبراهيم، ألم تشتق لي؟.
- طبعا بابا. متى سنعود لأمريكا فأنا لا أحب المدرسة هنا.
- حسنا الآن سأشتري لك بعض الملابس أيضا والكاندي لا تقلق على المدرسة ستعود لها غداً.
- صحيح ؟ واو ، بابا أريد الذهاب للمدرسة فى أمريكا ، أريد العودة لأصدقائي هناك. أحب أن ألعب مع جم وسالي، متى سنعود بابا؟
- اليوم يا إبراهيم.
- حقا؟
- طبعا ألا تصدقني؟

- وماذا عن أمي؟
- ستلحق بنا بعد أيام.

أمام مطعم المكدونالد حاسب شوقي سائق السيارة وقال له لا داعي للانتظار فسوف نقضي بعض الوقت هنا، كما دفع للسائق الثاني، وقال له: سألتقي مع أصدقائي هنا.

وعندما تأكد شوقي أنهما غادرا المكان استقل سيارة أجرة جديدة وطلب منه التوجه للفندق، من هناك حمل حقيبته من قسم الأمانات ،فقد كان قد حاسب الفندق ، واستقل سيارة من سيارات الفندق للمطار.

بعد ساعة كان شوقي وإبراهيم أمام شباك المطار لختم الجوازات .

قدم شوقي تذكرتيهما مع جواز سفره وشهادة ميلاد ابنه.
نظر رجل الأمن المكسيكي للأوراق فقال له
- أين ورقة الدخول؟.
استغرب شوقي.
- أية ورقة دخول ؟.
- الأشخاص الذين لا يحملون جواز سفر يأخذون ورقة عليها ختم تاريخ الدخول، وبما أن ابنك لا يحمل جواز سفر إذن حصل على ورقة عليها تاريخ الدخول.
- أووه فهمت ، لحظة من فضلك.

بدأ شوقي يفتش فى جيوبه وفى حقيبته وهو يلعن في نفسه المحقق جان الذى لم يلفت نظره لتلك الورقة، ماذا عساي أن أفعل؟. بعد لحظات قال له:

- يبدو أنني فقدتها سنيور. لكنه دخل المكسيك في تاريخ كذا وكذا .
- حسنا لكني أريد الورقة حتى لا تنتظر مدة طويلة.

مد شوقي يده بجرأة وأخرج مائة دولار أمريكي وقدمها للمكسيكي دون أن يلاحظ أحد ثم بدأ يتحدث معه بالإسبانية

- أنت تتحدث الاسبانية بطلاقة.
- سنيور أنا متزوج مكسيكية وابني هذا نصفه مكسيكي.

ضحك المسئول وختم له جوازه وأشار له بالدخول بعد أن غمزه بطرف عينه.

تنهد شوقى طويلا، فقد كاد ذلك أن يعطل عليه كل شيء.

بعد ساعة كان شوقي في الطائرة متجها إلى جورجيا ويجانبه ابنه . قال لإبراهيم.

- هل أنت سعيد الآن؟
- نعم يا بابا ، أنا لا أحب مكسيك(هل وذ إت) . إلى الجحيم معها.
- حسنا بعد ساعات سنكون فى أتلانتا ،في أمريكا، لن تخرج منها بعد اليوم إلا زائراً وفي الاتجاه الذي أحدده لك.

رمى الطفل رأسه على صدر أبيه وذهب في سبات عميق.

زافر كنغ

اعتنق المسيحية ليحافظ على عائلته

أذكر إنني التقيت به أول مرة عام 1988 عندما كنت في زيارة صديق لي في ولاية تنسي الأمريكية الواقعة في وسط الولايات المتحدة، كان لقاء بمحض المصادفة فحتى صديقي فريد لم يخطط لتعريفي به. كنا في أحد مطاعم مدينة ناكسفيل يوم التقينا به، فسلم على صديقي فريد الذي بادر بتعريفي عليه:

- أعرفك على صديقي زافر كنغ (قالها بالإنكليزية)
- أهلا وسهلا سعيد جدا بمعرفتك، وسلمت عليه
- (مي تو)، وأنا أيضا رد علي بالإنكليزية فعرفت إنه لا يجيد الحديث بالعربية فسألته
- هل تتحدث العربية؟
- شوية زغيرة، قالها ثم ابتسم
- زافر كنغ لا يعرف سوى بعض الكلمات لكنه عربي فلسطيني ومن خيرة الشباب العرب المغتربين، قال لي فريد مقاطعا.

طوال الطريق من المطعم إلى البيت ظل فريد يحدثني عن صديقه زافر كنغ (ظافر)، فوالده هاجر من القدس في خمسينات القرن العشرين إلى الولايات المتحدة وفوجئت إنه من عائلة أبو غنام واستقر به المقام في تلك البلد الصغيرة في تنسي الجميلة في سهولها وأشجارها خصوصا المناطق القريبة من الجبال.

حاول نبيل -والد ظافر- أن يجد عملا هناك لكنه فشل في الحصول على عمل رغم حاجة المصانع هناك إلى العمال لقلة المهاجرين الأجانب في مدينة صغيرة، وعندما

ضاقت به الحال نصحه أحد المعارف الأمريكيين هناك بأن يغير اسمه لأن الشركات وأصحاب المحلات هناك عنصريون، وربما لم يقبلوا به بسبب اسمه الذي يوحي بأنه عربي فاضطر مكرها في الأيام التالية إلى تغيير اسمه بشكل رسمي من نبيل أبو غنام إلى مايكل كنغ.
سألت فريدا لماذا اختار عائلة كنغ. ألأنه يريد أن يكون من عائلة الملك؟
ضحك فريد وقال لي:
لا ليس كذلك، فالقصة بكل بساطة جاءت بالمصادفة، فعندما كان في أحد الأيام يسير بالشوارع يتفرج على المحلات التجارية لفت نظره محل كبير لبيع المفروشات اسمه King Furniture فقرر أن يسمي نفسه بمايكل كنغ فقد كان يعتقد أن أصحاب الشركات ربما اعتقدوا أنه من أقارب صاحب المحل المذكور.
فبعد أن غير نبيل اسمه وجد عملا على الفور.

قصة غريبة لا بد أن صاحبها كافح من أجل لقمة العيش لكن لماذا لم يعلم ابنه العربية؟
رد علي فريد قائلا: ليس الأمر بتلك السهولة التي تتصورها.

نعم لم يكن الأمر سهلا مثل الوقت الحاضر لا يوجد فضائيات ولا راديو بالعربية ولا إنترنت ولا مؤسسات إسلامية كتلك الموجودة حاليا.

وعندما تزوج مايكل كنغ من شابة أمريكية كان يعتقد كغيره من أبناء العرب أنه سيعود معها لبلاده بعد عدة سنوات، فلم يكن يعتقد أو يحلم أنه سيدفن هناك في تنسي وسيظل ابنه ظافر وأحفاده في الولايات المتحدة للنهاية. هنا ولدوا وهنا سيعيشون وهذه هي بلدهم ووطنهم.

الأمر الوحيد الذي أثار دهشتي أن ظافر كنغ تحول من الإسلام للمسيحية، هكذا من دون قناعة حقيقية، لماذا حصل ذلك؟

معقول؟ لا بد لي أن أراه مرة أخرى أريد أن أعرف كيف حصل ذلك ولماذا، كلام صديقي فريد غير مقنع، فهل يعقل أن يتحول رجل من دين لدين من أجل الحفاظ على عائلته؟ ولماذا لم تتحول المرأة وليس الرجل وكيف تخلى بسهولة عن دينه؟ هل هو مرتد؟

كيف لنا أن ندعوه مرتدا وهو لم يعرف أصلا ما هو الدين الإسلامي، فأبوه لم يعلمه من الدين سوى الشهادتين ولم يكن يقيم أية شعائر دينية، كان مفتونا بزوجته وترك لها كل شيء. لكن أمه لم تشرح له عن الدين المسيحي شيئا بل قال له أبوه إنها أسلمت وتبعت أباه، فكيف تحول الولد عن دين والديه؟

شوقتني يا فريد لكن أحب أن أسمع كل ذلك من ظافر نفسه فمتى سنلتقي به؟

رد علي فريد قائلا:

- ظافر كنغ يحب الحضور للنادي مع أولاده، فهو يحب الرياضة خصوصا معهم وهو واحد من الذين يقضون مع أسرهم وقتا طويلا.

- حسنا متى يكون ذلك؟

- عادة في المساء

إذن لنذهب إلى هناك مساء الغد إذا سمحت

- لماذا أنت مهتم به كل هذا الاهتمام؟ سألني فريد، فليس هو الوحيد الذي غير دينه. كثيرون منهم من يغير دينه ليعيش ليكون جزءأ من المجتمع الذي يعيش فيه. آلاف المسيحيين في الدول العربية تحولوا للإسلام في الماضي ليتحسن وضعهم وليس لقناعة منهم، ويحدث العكس تماما وإن كان بشكل أقل الآن لكن في الماضي عندما حكم فردناند وازابيلا اسبانيا واضطهدوا المسلمين هناك تحول الكثير منهم للمسيحية وبقوا هناك مع أحفادهم حتى هذه اللحظة.

- هذا صحيح لكن لا أدري لماذا أشعر أن المسألة تهمني لهذا الحد. دعني أستمع منه ولو من باب الفضول.

كنا مساء اليوم التالي في النادي حيث كان ظافر مع أولاده هناك في المسبح، وعندما رآني ترك أولاده يسبحون وحدهم وجاء ليسلم علينا.
سعدت لحضوره، لا شك أنه يعتبرنا جزءاً منه مهما غير من لونه.

دمنا يشبه دمه وهيئتنا قريبة منه وأنا ابن القدس ويهمني أمر هذا الشاب وكأنه قضيتي الشخصية.
دعوته للجلوس بعيدا بعض الشيء عن المسبح لنتحدث بهدوء.
قلت له: أنا من القدس وأعرف الكثيرين من عائلة (أبو غنام) فهل جربت أن تزورهم هناك؟

- لا لم أزر القدس حتى الان ولكني أفكر بذلك فقد ألتقي ببعض أقاربي هناك فعندي صور بعضهم.
- ستكون فرصة طيبة حيث ستزور الأماكن التاريخية والدينية وخصوصا المسجد الأقصى أولى القبلتين. قلت ذلك وأنا أدقق في تعابير وجهه.

ابتسم قائلا:

- طبعا سأزور كل هذه المناطق وكوني تحولت للمسيحية فلا يعني ذلك أنني أصبحت معاديا للإسلام فقد فعلت ذلك لكي أحافظ على عائلتي.

سعدت لرده فقد كنت أريده أن يتطرق للموضوع بنفسه دون أن أسأله مباشرة.
قلت له باسما:
لا بد أنك تحب أولادك. وضحيت من أجلهم، إليس كذلك؟

- بلى أخي العزيز، العرب هنا لا يقدرون ذلك ويهمهم فقط أن يكون الواحد مسلما ولو بالاسم، المسألة ليست بتلك السهولة وفي النهاية فربنا يحاسبنا جميعا.

- هل لك أن تحدثنا عن ذلك
- ألم يحدثك فريد عن القصة فهو يعرفها بالتفصيل
- لم نجد الوقت الكافي لذلك فأحببنا أن نسمعها منك

المسألة بالنسبة لي ليست تفضيل الإسلام على المسيحية أو العكس، فأنا لم أنشأ متدينا ولم يربني أبي على إقامة شعائر دينية فلم يكن هو يقيمها أصلا وكل ما كان يقوله لي إنني مسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، حتى شهر رمضان المبارك لم يكن يصومه فنشأت مثله ولأنني نشأت في هذه المدينة الصغيرة فلم أتعلم اللغة العربية فلم يكن هنا جالية عربية أصلا في تلك الفترة وهؤلاء الذين تراهم الآن مثل صديقك فريد فقد جاءوا لهذه المدينة حديثا ولم نكن نعرفهم في تلك الفترة.
إن تسألني هل كنت فعلا مسلما أقول لك نعم ولم أكن أخطط لاعتناق المسيحية لكني وجدت نفسي مضطرا لذلك.

تزوجت لندا منذ عشر سنوات، وكانت علاقتنا معا جيدة جدا فقد أحببتها قبل زواجنا حيث كنت أعرفها منذ أيام الدراسة في المدرسة، وقد وقفت معي وكانت مخلصة وتصدت للطلاب العنصريين عندما كانوا يحاولون الإساءة لي لأصولي العربية.
أنجبت 3 أطفال ابنين أسميتهما نبيل ويوسف وبنتا واحدة أسميتها جولي على اسم أمي.

خلال السنوات الأولى من حياتنا كنت مشغولا في العمل وكانت هي تربيهم وتعتني بهم. وكانت تأخذهم معها للكنيسة أيام الآحاد أحيانا ولم أعترض لأن البديل هو أن أقوم بالاعتناء بهم أثناء غيابها ففضلت أن يكونوا معها.

في أعياد الميلاد كانت تأخذهم لأقاربها للاحتفال معا وأحيانا كنت أشارك معهم، فنشأوا نشأة مسيحية على الرغم مني .
لم أستطع منعم لأنه ليس عندي البديل، فما الذي يمكنني أن أقدمه لهم؟
مع من سأحتفل معهم في عيد المسلمين هنا؟
شعرت مع الأيام أنني أصبحت بعيدا عنهم، حيث يقيمون الاحتفالات الدينية وحدهم وأنا أتفرج وإن لم أشارك فلن أغير من حقيقة الموضوع شيئا.

عندما يذهبون للكنيسة يعودون مسرورين وعندما يشترون بعض الهدايا أصبحوا يشترون ما يوحي بأنهم مسيحيون.
هل أحاربهم ؟ هل أتخلى عنهم؟
هل أتخلى عن زوجتي التي تحبني والتي لم تمنعني أن أشرح لهم عن الإسلام؟
لكن ماذا أقول لهم؟ أية طقوس أتحدث لهم عنها وأنا لا أعرف شيئا أصلا؟
عشت في صراع نفسي حاد عدة سنوات.
فعلاقاتي مع كل أفراد أسرتي حسنة بل رائعة ما عدا قصة الدين الإسلامي، وأقول لك لم أجد في الأشياء الأساسية فروقات تستحق أن أقف عندها.

أنا رجل يؤمن بالخير والإيمان الروحي وأحب للناس ما أحبه لنفسي. أنا أومن بالمحبة للجميع وكان علي أن أختار، إما أن أبقى بعيدا عن أفراد الأسرة فتضعف علاقتي معهم وإما أن أكون معهم في كل شيء ونكون أسرة متحابة. فاخترت الثانية وانضممت لدينهم.

كنت أنصت إليه مشدودا ولكن سؤاله حيرني فماذا يمكنه فعله في تلك الظروف. وما ذنبه فهو لم يعرف عن دينه شيئا.

فجأة انطلق صوت أولاده في المسبح:

- دادي، وي آر ويتنك فور يو (نحن بانتظارك يا والدي)
- أوكي آيم كنغ (أنا قادم)، استأذن منا ظافر للحاق بالأولاد.

حيرتني قصته، أمضيت أياما أفكر بها فلم أصل إلى حل ، لكن حتى لو وصلت إلى حل فلن يكون عمليا فقد انتهى كل شيء.

بَلَسْتينا

جلس ناصر وحيداً في زنزانته الانفرادية في السجن، لم يكن معه أحد منذ نطق القاضي قراره النهائي بإعدامه هو وزوجته، لذلك وضع في زنزانة انفرادية، لا يرى فيها الشمس إلا عندما يخرج ساعة كل يوم في ساحة صغيرة لا تزيد مساحتها عن ستة أمتار مربعة، عبارة عن مجموعة حيطان وسقفها مغطى بالسياج الحديدي العالي جداً لا يستطيع أحد الوصول إليه. كان لا يخرج إلا وحيدا لأنه محكوم بالاعدام حيث تخشى إدارة السجن أن يقوم المحكوم بالاعدام بقتل أحد السجناء الآخرين لسبب أو لآخر.

السجن فى الولايات المتحدة ليس سهلا كما يتوقع القابعون خارج القضبان أو الذين يعيشون في دول أخرى، فهو من أسوأ السجون بالعالم خصوصا

للمحكومين أحكاما عالية أو تتعلق بالقتل والعنف والاغتصاب وعمليات السطو.. إلخ..

عالم السجن عالم إجرام محترف والسجناء دائما فى معارك مستمرة . ما يزال ناصر يذكر قبل الحكم عليه بالإعدام كيف كان يقضي أيامه في السجن .

دائما في حالة حرب كل واحد يحمل معه آلة حادة للدفاع عن نفسه أمام المتربصين به من كل جانب. فالسجن غابة وإن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب ومن لم يكن شرسا أو جزءاً من عصابة سوف ينتهي به الوضع للاغتصاب الدوري.

الشيء الذي ساعد ناصر على اتقاء هذه الشرور أنه كان كبير السن فلم يطمع به الصغار لكن الأهم كان كونه مسلما وفي السجون الكبيرة يلتقي كثير من المسلمين السود وهم يشكلون تكتلا داخل السجن يمنع العصابات الأخرى من الاعتداء عليهم.

عندما كان ناصر يخرج إلى الساحة تقيد يداه ورجلاه على الرغم من أنه كان يخرج وحده، فلم يكن يسمح له بالخروج من الزنزانة من دون قيود.

خرج ناصر للساحة مطأطئ الرأس يسير بشكل دائري في تلك الساحة الضيقة لا يدري أين يقوده تفكيره.

أن تكون محكوما بالإعدام تنتظر لحظة تنفيذه شيء مرعب حقا يصيبك بالهستريا، بالقلق الدائم، لا تعرف تماما متى سينفذ بك قرار المحكمة لكنك تعرف أن نهايتك قد دخلت مرحلتها النهائية.

بدأ ناصر يتمتم لنفسه:

كل هيئة المحلفين أدانتني بالمحكمة، ولم تنفع كل الاستئنافات التي قدمتها.

ثم أكمل:

لم يكن فيهم شخص واحد يفهم مأساتي، ليس عدلاً أن يأتي أشخاص لا يعرفون بالقانون ولا بالثقافات ولا بمعنى العدالة ليقرروا مصير رجل. ليأخذوا روحه.

ترى لو كان الحكم صادرا عن عدة قضاة كما يحصل في بلاد أخرى هل كان الوضع أفضل؟.

لم يهمهم أي شيء، كل ما كانوا يبحثون عنه هو، هل قتل ابنته أم لم يقتلها، كانوا يعتقدون أنني أكره ابنتي وأنني كنت أريد قتلها ليتهم عرفوا أنني أحبها أكثر منهم جميعا، ليتهم عرفوا كم أحببتها، كم قضيت الليالي ساهرا لتربيتها، كم قبلة طبعت على خدودها، ليتهم عرفوا أنني منحتها من الدلال أكثر مما منحت بقية إخوتها بما فيهم زينب نصف شقيقتها.

لقد كانت الابنة المميزة، المدللة، سميتها بَلَسْتينا (فلسطين بالإسبانية) نسبة لفلسطين لانها تعني الكثير لي، ليتهم يقولون لي متى سأعدم ليتهم يعدمونني الآن لكي أستريح مما أنا فيه.

بدأ يذرف الدموع بصمت وهو يتذكر أباه قبل عشرين سنة الذي بكى وهو يرجوه أن يعدل عن السفر إلى الولايات المتحدة لكنه لم يستمع إليه، قال له أبوه

- يا ناصر لماذا السفر وأنت وحيدي؟ لمن تتركنا؟ من سيرعى الأرض يا ابني؟
- يا والدي سأعود لك بمال يغنيك عن الأرض والعمل بالأرض!!

لم أر والدي منذ تلك الفترة، لم أعد له بشيء ولن أعود. هل هو عقاب السماء؟ لقد ظلمت زوجتي سهام، زوجتي الأولى التي أنجبت منها نبيل وزياد وزينب، طلقتها حتى أتزوج روزالي، تركتها تعيش مطلقة الان في ترمسعيا، لا يقترب منها أحد.
لم أسأل عنها ولا أعرف أخبارها، يقينا إنها الان تفرك يديها فرحا انتقاما لشرفها الذي بعته من أجل الدولارات.

كنت قاسيا عليها، ما زلت أذكر حينما أعلمتها بموعد سفري، اهتزت ولم تصدق وبدأت تبكي، قلت لها في حينه سأعود لك بعد عشرين سنة، فصرخَت وطلبت الطلاق.

أي زوج أنا؟

الآن أتذكر كل ذلك؟ لماذا لم أتذكره حينما كنت خارج القضبان؟

هكذا نحن البشر لا نتذكر أخطاءنا إلا عندما نكون في ورطة؟

ليتها ورطة عادية إنها النهاية بحد ذاتها.

يقينا أنني سأموت ألف مرة قبل أن ينفذ بي حكم الاعدام أتراهم يقصدون ذلك؟ أتراهم يريدونني أن أموت كل يوم، كل لحظة، كل ثانية؟ هل يريدون الانتقام مني أم يريدون إراحة أنفسهم من قتلي.

انتهى الوقت وعاد ناصر للزنزانة، جلس ناصر فى زنزانته يقلب بعض الكتب التى أحضرها للقراءة، أرسلتها له سابقا زينب ومنها القرآن الكريم لكنه منذ حكم بالإعدام أصبح يكره القراءة، فلماذا يقرأ الكتب وهو على وشك الإعدام ألديه الرغبة في القراءة؟.

من يواجه قرار الإعدام ليس لديه الرغبة في القراءة؟

هل يمارس الرياضة ؟ لماذا ؟ ما دام سيعدم غداً أو بعد غد أو لا يعلم متى . ما فائدة الصحة مادمتَ ستموت بعد قليل؟.

أحس بدوار شديد وضع يده على رأسه وقال متمتماً:

رحماك يا رب.. اللهم اجعله إعداما هيناً اللهم اجعله إعداماً هيناً . كان أكثر ما يخيف ناصر أنه قرأ مرة أن أحد المحكومين بالاعدام والذي تم تنفيذ الحكم عليه بالصعقة الكهربائية لم يمت من الصعقة الأولى خلافا للعادة ولا الثانية فتم زيادة

شدة الصعقات حتى أصبح الدخان يخرج من رأس الرجل المحترق قبل أن يلفظ أنفاسه .
اللهم ارحمني من هذا العذاب ، لماذا لا تميتني الآن؟. أم إنك غاضب علي مثلهم؟ هل ستسامحني ؟ هل ستغفر لي؟ أنت الوحيد القادر على فهم أحاسيسي الداخلية أنت الوحيد العارف سر ما حصل .

اللهم اغفر لي ذنوبي، اللهم اعف عني، أعرف أنني خالفت تعاليمك منذ الشباب ، لم أصلّ إلا ما ندر ومارست من الموبقات الكثير..
لكني لم أكن سيئا يا رب، لم أكن مثل الآخرين ،كنت طيب القلب، هل تقبل توبتي يا رب؟.
هل تقبل توبة رجل لحظة إعدامه؟!
هكذا نحن البشر يا رب نتذكرك فقط ونحن على وشك الموت
لماذا يا ناصر لم تتذكره وأنت بكامل صحتك وقواك العقلية؟ لماذا لم تتذكره وأنت تطلق أم نبيل بعد أن صبرت عليك كل هذه السنين؟ طلقتها وتركت عندها أولادك الثلاثة في فلسطين لتتزوج من الأمريكية من أصل مكسيكي (روزالي)، فكل ما كان يهمك كيف تحصل على الجنسية الأمريكية.
هو عقاب السماء إذن؟
صدق من قال يمهل ولا يهمل.
إن أذنبت يا ربي، فلا أمل لي إلا رحمتك، غفرانك، عفوك. سامحيني يا زينب فقد قسوت عليك .حرمتك من حنان الأب ومنحته لبلستينا التي كانت سبب مصيبتي ومصيبة أمها ومصيبتنا جميعا.

آه يا روزالي ،في أي زنزانة أنت الآن وماذا تفعلين؟ هل ندمت لهذه النهاية المأسوية ؟ هل كنت تعرفين أن ابنتنا التى كم تعبت لأجلها، تتمرد علينا بهذا

الشكل؟ ألم نكن نبحث عن مصلحتها؟ ما الجريمة التى أقدمنا عليها بحقها ، ألم ترفع السكين تهددنا بها؟ ألم ترسل صديقها ليعتدي على والد أحبها.
لا أصدق أبداً ما يجري حولي يبدو أن لا مفر لي من مواجهة الموت بشجاعة.

هل تسرعت يا ربي فى الزواج من روزالي؟ ما الفرق بين أن تكون مكسيكية أو عربية، أليست بنات أبو سلمان من الفلسطيني يدرن على حل شعرهن؟ أليست ابنة سعيد اللبناني تفعل ما كانت تفعله بلستينا، أليست حنان المغربية على كل لسان؟ ألم تترك صفية السورية أهلها وهربت مع صديقها الأمريكي؟ ألم تهرب ابنة الشيخ المصري إمام الجامع البيت لشهرين ثم عادت وهي حامل؟ مئات البنات إن لم يكن الآلاف من كل الجاليات العربية والإسلامية هربن من أهاليهن في غفلة من الزمن.
أنا فى حيرة أبحث عن سبب واحد أقنع نفسي فيه فلا أعرف .
هل المجتمع هو السبب؟.

لا ليست جنسية الأم السبب. إنها ضريبة الغربة التي علينا أن ندفع ثمنها. بعضنا يدفع ثمنها من عمره وبعضنا يدفع فلذه أكباده وبعضنا يدفع مشاعره وأحاسيسه وبعضنا يدفع فلوسه .

قالوا لي دع ابنتك تختار ما تريد، فهل كانت فعلا حرة في الاختيار؟ كيف يكون الأطفال أحراراً في الاختيار وهم يشاهدون يوميا عشرات البرامج التلفزيونية التي تدعو للعنف، للتدخين ، لشرب المخدرات، الكحول، للدعارة؟ كيف يمكن أن يكون الاختيار حراً.

كيف سيختار الأطفال وهم يرون الواقي الذكري في حمامات المدارس لتشجيع الأطفال لاستخدامه لعدم نقل الأمراض؟.

ألا يدفع ذلك الأطفال لممارسة الجنس باعتباره مشروعا وقانونياً بلا ضوابط وكأنه لعبة يمارسها الأطفال؟

كيف يعلمون الأطفال احترام الآباء وهم يقول لهم إذا ضربك أبوك حتى لو ضربا خفيفاً اتصل بالشرطة ؟كيف يختار الأطفال عندما يقولون للبنات منهن إن منعك أبوك من صديقك اتصلي بالشرطة. أين حرية الاختيار . أين الحرية؟
لم يتركوا لابنتي سوى طريق واحد على الرغم مني ، يبدو أن الإنسان لن يحقق فى حياته كل شيء، إما الفلوس وإما السعادة الروحية والعائلية وأنا ركضت نحو الأولى ففقدت الثانية.
آه يا روزالي
ها أنت بسببي سوف يشنقونك معي لماذا تزوجتني ؟ أي قدر أرسلك لي؟ لماذا لم تتزوجي شابا من أصل مكسيكي؟ ما لك ولهذا العربي المنحوس الذي يحمل فى داخله ثقافة أخرى وعادات أخرى من الصعب محوها من ذاكرته، من داخله ،لأنها جزء منه، إنها هويته تكوينه الخاص ،إنها شكله الداخلي الذى لا فكاك منه؟.
هل أنت نادمة على الزواج مني؟ ألا زلت تحبينني؟
هل تذكرين كم كنا فخورين بها، ندللها، نلعب معها؟
كنت ألحقها فتهرب وتختبئ تحت السرير وأنا أتظاهر كأني لا أعرف فابحث عنها هنا وهناك وأنا أنادي
- بلستينا، بلستينا.
وعندما أنزل برأسي تحت السرير فجأة كأنني وجدتها، أصيح بلستينا وجدتك فتضحك وتستسلم، فأهرب أنا لتلحق بي وتبحث عنى، لكن أين أختبىء ؟ لا أجد سوى الحمام أختبىء به وأقف في المكان المخصص للدوش وأسحب الستارة، لكنها تجدني على الفور فقد عرفت كل الأماكن التى يمكن لي الاختباء بها.

ما أجمل تلك الأيام الجميلة، ما أروعها!!.
أتذكرين روزالي عندما ولدت بلستينا؟
كنت أقول لك هذه الفتاة من أصول عربية وإسبانية، والإسبان فيهم جذور عربية وشرقية لذلك فهي أقرب للعرب. لكن جمالها كان فيه مسحة إسبانية مكسيكية، لقد أخذت مسحة منك يا روزالي.
أنفها الصغير كم قبلناه أنا وأنت.

ماذا تنفعني تلك الذكريات سوى أنها تفتح جروحي؟
أين أمي وأبي ؟ رحمهما الله.
أين سهام؟
يقينا ستشمت بي الآن، أذكر آخر مكالمة معها عندما اختلفنا حول الطلاق قالت لي وهي تبكي
- الله لا يوفقك. الله ينتقم منك.
هل استجاب لها الله، هل هذه نقمة منه لما فعلت بها؟.
أليس هو الذي حلل لنا زواج اثنتين و3 و4؟.
أأكون ظلمتها؟ رحماك يا رب؟ هل أستحق كل هذا؟.
يبدو أن الواحد منا لا يذكر ربه إلا عندما يكون فى مصيبة أو على شفا الموت؟
سامحيني يا سهام.
ليتك أمامي لأطلب السماح منك.
ليتك هنا لأقبل يديك لصبرك علي وعلى ظلمي لك، ليتك هنا لتشاهدي دموع الحزن والألم.
أعرف إنني ظلمتك ،هكذا نحن معشر الرجال، لهذا كانت الجنة تحت أقدامكن لا تحت أقدام الآباء.
هل تتذكريني الآن؟ هل ستصلك أخباري وأنا هنا مكسور الجناح ؟ ليتك تشفقين على حالي وتقولين سامحتك يا ناصر ، سامحتك.

لعل عشرتنا القديمة تغفر لي فكم كنت أحبك!
أتذكرين حينما كنا شبابا قبل الزواج وأنا ألحق بك في الوادي القريب من هناك فى أرض والدك وخلف شجرة الزيتون عندما طبعت على خدك أول قبلة؟ هربت مني وأنت تقولين:
- ناصر حرام، الله يرانا، فقلت لك.
- ليشهد إذن على حبنا، ليشهد على ارتباطنا المقدس
يا حسرتي.
لقد شهد أيضا طلاقي لك.
شهد جحودي ونكراني لكل تلك المشاعر النبيلة.
ليغفر لي الله عما سلف.

كان ناصر متوتر الأعصاب بعد قرار الحكم وكلما سمع صوت باب يفتح أو صوت مفتاح أو صوت شرطي قريب من زنزانته ،اعتقد أن ساعته قد حانت . ولأن أصوات الأبواب والمفاتيح وأقدام السجانين تسمع ليل نهار لذلك كان لا ينام ساعة إلا واستيقظ فيها أكثر من مرة.
كان يكره صوت المفاتيح، صوت الأبواب، كانت تثير قلقه وخوفه وعجزه عن مواجهة قرار الإعدام.
الساعة العاشرة صباحاً ، جاء خمسة سجانين بلباسهم الرسمي فتحوا زنزانة ناصر وجدوه جالساً ينتظرهم، طلبوا منه الوقوف وضعوا القيود بيديه ورجليه، ثم وضعوا كيسا على رأسه وساقوه لغرفة الإعدام .

عرف ناصر أن نهايته قد أوشكت بدأت أعصابه تتراخى، لم تستطع قدماه أن تحمله فسقط على الأرض حمله السجانون كان خفيفا على كل حال فقد أسهم قلقه الدائم وقلة الأكل في أن يخسر أكثر من نصف وزنه. كان منهاراً غير قادر على الحركة لم يصدق أن نهايته ستكون بهذا الشكل. بدأ يصرخ بين أيديهم..

- أنا بريء . أنا لست قاتلا ، لم أقتلها ، ارحمني يا رب، ارحمني من هؤلاء الأوغاد . لا إله إلا الله ..

قاطعه أحد السجانين..

- اغلق فمك يا ابن الزانية ،لقد أزعجتنا

وقال سجان ثان .

- إلهك لن يساعدك وأنت قاتل.

فقال سجان ثالث للثاني .

- اخرس ،هذا ليس من اختصاصك .فهو الآن سيموت .ماذا تتوقع من سجين يواجه الموت .

- لكنه قاتل. هؤلاء الغرباء يأتون هنا ليمارسوا القتل والسرقة يعتقدون أن البلد بلا قانون.

- لا تنس هذه البلد معظمها أغراب. وقد أعدمنا الكثير غيره من بيض وسود فلماذا تخصه بالحديث؟

صرخ ناصر، لا إله إلا الله..

قال الشرطي الرابع:

- دع ربك ينقذك الآن ـ الله!!

قال المسؤول بصوت حاد.

- انتهى النقاش اخرسوا جميعا لقد وصلنا.

كان ناصر يرتجف كمن تعرض لبرد شديد ،لم يستطع أن يبلع ريقه لكنه كان يردد دائما:

ـ ارحمني يا رب ، اغفر لي، وكان كالأطفال يبكي..

وصل السجانون إلى غرفة الإعدام .كانت غرفة الإعدام وسط ساحة داخلية معدة بكرسي الإعدام وأجهزة كهربائية يتم ربطها بالمحكوم. خارج الغرفة رفعوا عنه

الكيس، كان منظره مخيفا ،شعره متناثراً، ذقنه طويلة لم يحلقها منذ مدة طويلة، لمن يحلقها ؟ نظر بمن حوله لعل أحدا يرأف بحاله لكنه لم ير في عيونهم إلا الاحتقار، كانوا قساة لا تعرف قلوبهم الرحمة، فلو كانوا يعرفون الرحمة لما عملوا في هذه المهنة المرعبة، هم يطبقون قرارات المحكمة ، فأين ذنبهم؟.

سألهم..

- أين زوجتي ، أريد رؤيتها للمرة الأخيرة ، لقد وعدتموني بذلك.

رد عليه ضابط كبير.

- ستكون هنا بعد أن نقرأ عليك كل ما يتعلق بالاعدام.

قرأوا عليه لائحة الاتهام، قرار القاضي، تاريخ الاعدام، بعد ذلك أحضروا زوجته من زنزانة أخرى في السجن لم يكن حالها بأفضل من حاله.

ها هي روزالي أمامه بشحمها ودمها، امرأة عاشت معه عشرين سنة، وكان قدرها أن تعدم معه في التهمة نفسها لم يصدقوه ولم يرحموها.

روزالي تقف أمامه كأنها شبح بعد أن كانت تسحر الشباب بجمالها وغنجها وشعرها الطويل الأشقر، يا ألله لقد فقدت روزالي كل سحرها وجمالها لم يُبقِ لها قرار الاعدام شيئا كأن حسنها وسحرها سيموتان معها كي لا يتمتع بهما أحد بعدها.

هذه هي روزالي التي طلقت أم نبيل بسببها، تودع الحياة معي فيما أم نبيل الآن تجلس فى فلسطين مع صديقتها تفرك يديها فرحا لأن الله انتقم لها.

هذه روزالي التي أحببتها فعلا لا قولا، لذلك لم أطلقها أبدا.

لم أكن أعرف إنني أختار الموت بدلا من الحياة، من يعرف منا طريق سعادته؟

نظر إليها بملابس السجن كأنها هيكل عظمي، ولم يكن حاله أفضل منها.

نظرت إليه ،نظرة الوداع ،ابتسمت ،بكت، صرخت ناصر، لا تتركني وحدي، دعهم يعدموننا معا، يدفنوننا معا.

بكى معها.

- روزالي ،ليغفر الله لنا إن أخطأنا .

حبيبتي الوداع فسوف نلتقي فى الجنة، صدقيني لن أنساك، سأبحث عنك هناك، فى الجنة لن أقبل بديلا عنك كل حوريات الجنة، سنعيش هناك معا مع ابنتنا بلستينا التي سنموت بسببها.

تماسكي يا روزالي.

قالها وهو بحاجة إلى من يشد أزره.

قالت له بعد أن أخبروها بانتهاء الزيارة

- الوداع ناصر، الوداع ،أحبك

وأرسلت له قبلة فى الهواء من وجه ملأته الدموع.

التقط ناصر القبلة الأخيرة من الهواء توقف عن البكاء فجأة، قال في سره

هذه ساعة الموت فارحمني يا رب.

اللهم اجعلها موتة سهلة بدون عذاب.

أدخلوه الغرفة غرفة الاعدام، كان كرسي الإعدام في وسط الغرفة الصغيرة التي تشبه غرفة طاقم مركبة أبولو الفضائية أجلسوه على الكرسي، ربطوا يديه على جانبي الكرسي الحديدي وربطوا كل أنحاء جسمه بعد ذلك، وضعوا على رأسه جهازاً أشبه بماكينة تصفيف الشعر لدى حلاقي النساء كانت الغرفة مليئة بأجهزة لا يعرف ما دورها، أسلاك كثيرة كانت تمتد هنا وهناك كاميرات بالغرفة وكان أمامه شباك صغير، يبدو أنهم عندما سيعدمونه سيتفرجون عليه من خلاله كيف يلفظ أنفاسه الأخيرة، شدوا وثاق رجليه لم يعد يستطيع أن يحرك شيئا فى جسمه.

يا الله ما هذه النهاية المرعبة؟.

أهذه أمريكا التى فرحت ورقصت عندما منحني القنصل الفيزا لدخولها؟ حينها فرحت ورقصت لأنني سأذهب لبلد الحرية والعدالة. لم أكن أعرف أنني ذاهب لحتفي المؤجل.

ما زلت أتذكر تلك الليلة المشؤومة، حينما عادت بلستينا بعد منتصف الليل وهي مخمورة، دخلتُ إلى غرفتها فنظرت إلي مرعوبة وقالت

- يا إلهي أرعبتني، ماذا تفعل في غرفتي؟.
- أنتظرك.
- أتريد إسماعي نفس الحديث كل مرة؟ لقد سئمت من تعاليمكم فأنا حرة أخرج متى أشاء وأصاحب من أشاء نحن في أمريكا وليس في فلسطين.
- لا هذه المرة أعدك ألا تخرجى من البيت.

ضحكت وهي تتمايل ، اقتربت منها، ففاحت رائحة الخمر من فمها ، سألتها:

- أسكرتِ؟
- وماذا يهمك، أنا حرة.
- لم يعد بالإمكان السكوت على ما تفعلين.
- اضرب نفسك بالحائط.

ثارت ثائرتي لم أحتمل إهانتها الزائدة

- بلستينا ، احترمي نفسك، وصفعتها على وجهها.
- تضربني يا خنزير سأتصل بجيرى ليضربك كما ضربك من قبل، يبدو أنك لم تتعلم من المرة الأولى.

توجهَت للهاتف، فأمسكتُ بشعرها ثم رميتها على الأرض

- أتهددينني بصديقك التافه؟

استيقظت روزالي على صراخها فرأتني أشد بشعرها وأمنعها من الوصول للهاتف. بعد أن أفلتت مني، هربت للمطبخ فعادت بالسكين

- إن أقتربت مني سأطعنك.

صرخت فيها أمها

- اتركي السكين بلستينا، ماذا دهاك؟ أتريدين قتل أبيك؟

أنسيت إنه أبوك؟ أنسيت الذي كان يباهي العالم بك؟ أنسيت كم من الحب والحنان منحك؟ أنسيت إنه ميزك عن كل أبنائه؟

- دعوني وشأني، لا أريد حنانكم، لا أريد تدخلكم بي، لن أبقى في البيت.

توجهت وهي تتمايل للباب لتغادر البيت وهي تحمل السكين بيدها، خفت أن ترتكب جريمة وهي بالشارع والسكين بيدها لحقت بها وقبل أن تفتح الباب أمسكت يدها التي تحمل السكين، قاومتني، تعاركنا لثوان وحاولت أن تضربني بالسكين. كانت تصرخ ورائحة الخمر تزكم أنفي

- اتركني يا ابن الزانية، اتركني يا سافل، سأرسل صديقي ليضربك اليوم ويلقنك درسا لن تنساه، أنا بريئة منكم ومن دينكم ومن عادتكم.

جاءت أمها لتساعدني لتخليصها السكين فأمسكت بشعرها فشتمت أمها قائلة

- اتركيني يا بنت الشرموطة

لم يبق لدي عقل أسيطر عليه، فجأة خلصت السكين من يدها وطعنتها ببطنها عدة طعنات حتى سقطت على الأرض مضرجة بدمها..

صرختُ بعد أن أفقت من هول المعركة، منظر الدم على يدي وابنتي أمامي على الأرض مضرجة بدمائها، قتلتها، ماتت، ماتت الفاجرة، لوثت اسمي بالوحل، جلبت العار لي للأبد، هل انتهى كل شيء ،هل أعاد قتلها الشرف لي؟!

نظرت إلي أمها التي لم تصدق ما جرى وهجمت على جثة ابنتنا تقبلها وتقول لماذا فعلت ذلك يا بلستينا؟

نظرت لي وقالت:

- ناصر بلستينا ماتت .

بكينا وتعانقنا، وقلت لها:

ماتت ابنتنا الوحيدة،على يدينا ، ياللأسف.

سألتني:

- ما العمل ؟ فقلت لها:

- لقد قتلناها دفاعا عن النفس، علينا الاتصال بالشرطة والإسعاف. نرجو الله أن يلهمنا الصبر.

ما أصعب أن يقتل رجل ابنته أو ابنه، إنه شعور رهيب حتى لو تم فى لحظة غضب، شعور مرعب حتى لو ارتكبت البنت كل جرائم الدنيا.

ابنتك جزء منك،قطعة منك يا ناصر، عاشت معك أياما وليالي، كم حملتها وكم لعبت معها، كم قبلة طبعت على خدها ،كم قطعة حلوى اشتريت لها ؟كم قصر بنيت لها في الجنة؟

كنت ترى بعيونها العالم وها هي أمامك جثة هامدة تفوح منها رائحة الخمر.

لماذا لم تمنعيني من الحضور يا أمي ؟ كنت تملكين تأثيراً علي لكنك اكتفيت بالدموع. لماذا لم تكسر رجلي يا والدى؟.

أعرف أنك يا والدي زعلت علي وكنت تريدني ألا أرحل وتوسلت لي كي لا أسافر.

بينما كانوا منهمكين في إعداده للإعدام كان هو يسبح في بحر ذكرياته. كان يتذكر ساعة أخبر والديه وزوجته وأولاده في ترمسعيا بالخبر المفرح بعد عودته من القدس حاملا معه جواز سفره الممهور بالفيزا ، دخل البيت يغني:

على دلعونا على دلعونا

يلا يا ناصر سافر من هونا

لا بدي مرتي ولا بدي خيي

بدي الدولار أخضر اللونا

- باركوا لي، باركي لي يا سهام ، باركي لي يا أمي، بارك لي يابا باركوا لي يا أولاد ،الخير لقدام. وداعا للفقر وداعاً.

- ما هذا يا بني؟ أطربان لهذا الحد؟ خبرنا شو صار؟ قالت أمه:

فرد عليها يغني

- يما يا يما، ايش اللي صاير

السعد جاني وأنا اللي طاير

حضروا الشناتي (الشنط) وأنا بكره مسافر

واركب طيارة كبيرة ومزيونة.

وقفت سهام تتفرج مستغربة

- ماذا حصل؟ ماذا أسمع؟ ألا زلت تحلم بأمريكا؟
- لم يعد الأمر حلما بعد، الحلم أصبح حقيقة ، تعالوا لأريكم الفيزا التي حصلت عليها اليوم، فتح جواز سفره على صفحة الفيزا.
- أرأيتم ، مدتها سنة، يعني يمكنني أن أذهب هناك مرة ومرات، لكن مرة واحدة تكفي بعدها سأكون أمريكيا.

نظر إلى أم نبيل وقال لها:

- يا أم نبيل ، هذا حلمنا، بعد أيام سأسافر لأمريكا، أريد أن أعود لكم بفلوس، دولارات بالأخضر، ألم تسمعي أمي عندما كانت تقول لي قبل سنوات: اللهم اجعل طريقك خضراء.

نعم ستصبح الآن خضراء فقد استجاب الله لها، لكن ليس بسبب الزرع الأخضر في بلدنا ترمسعيا ولكن بسبب الدولارات، الدولارات الخضراء تجعل كل شيء بالحياة أخضر حتى الطريق الصحراوية. سأبني لكم بيتا

- لا فيلا قاطعته سهام ، وكم ستغيب يا ترى؟.
- خمسة أو عشرة أو..
- عشرة أيام؟

ضحك ناصر..

- عشرة أيام، قولي عشر سنوات ، عشرين سنة.
- ماذا تقول ؟ صرخت.

فقالت أمه:

- لا لا هو يمزح ، ناصر لن يتركنا من أجل الفلوس.
- أتريد أن تتركنا يا ناصر مثلما يترك أهل البلد نسوانهم وأهاليهم ويعودون لهم بعد أن يموتوا أو يشيبوا.

أدرك ناصر أنه ورط نفسه فقال:

- يا روحي يا أم نبيل. أنا مسافر لمصلحتكم جميعا، من أجل أولادنا، أحبابنا، مستقبلنا، من أجل أمي وأبي. لن تطول غيبتي كثيرا من يدري قد أعود بعد سنة لآخذكم معي.
- وكيف ستأخذنا؟.
- بعد أن أحصل على جنسية أمريكية.
- وهل ستحصل عليها بيوم وليلة؟.
- طبعا لا لكن لكل شيء ثمن، ألا تحبين أن تعيشي فى أمريكا بلد آل كابون؟.
- من آل كابون هذا؟.
- آل كابون يا مغفلة ،هذا زعيم عصابة مافيا كان يحكم شيكاغو أكثر من الحكومة!.
- أتريدنا أن نسكن فى بلد العصابات والزعران؟.
- يا سهام ، خليها مستورة يعني مسافر ومش راح أتراجع.

نظرت سهام إلى والدي الصامت وقالت له:

- قل شيئا يا عمي، قال أبو ناصر:
- ماذا أقول يا ابنتي سهام ، أنت ترين بأنني على حافة قبري ولا أريد أن يبعد عني. ولو فكر لحظة في أبيه لعدل عن السفر.
- حتى أنت يا والدي ، هل تريدونني أن أظل فقيراً عاطلا عن العمل، أتسكع فى رام الله وسيارة جيش اليهود توقفني في كل مكان، أين بطاقة الهوية؟ إلى أين أنت ذاهب؟ ارفع يديك، إلى الخلف در ، ماذا تحمل في الكيس؟.

يابا والله لن أنساكم لكن علي أن أعمل ما برأسي، نصف أهل البلد مسافرون .. يعنى مصلحة لنا جميعا.

قال والدي لي بعد أن اغرورقت عيناه بالدموع .

- الله يرضى عليك يا ابني ، وفقك الله ،ونحن لنا الله. اهتم بنفسك، أنت تعرف إنك الوحيد لنا فليس لنا ولد سواك بعد موت أخيك الأصغر في حرب عام 1967.
- يا أبا ناصر خليك صبور وخلي الولد يحقق أحلامه قالت أم ناصر.
- وكمان بتشجعيه يا زوجة عمي ؟ قالت سهام
- يا ابنتي نحن لن نشجعه لكن ما دام مسافرا بموافقتنا أو بدونها ليس لنا إلا أن نتمنى الخير له . اصبري معنا والصبر مفتاح الفرج.

عاد ناصر من ذكرياته، وبدأ يتمتم

حقكم علي جميعا ، تركتكم وأنتم بحاجة لي وها أنذا أموت فى أرض غريبة. كانت أمنيتي أن اصبح غنياً . عندي بيت وسيارة وحساب في البنك، لم أكن أعرف أن لكل شيء ثمنا يجب دفعه.

ضحكوا علي قالوا هذه بلد الحرية!!

أين هي الحرية التى يزعمون؟

لماذا منحني القنصل الفيزا؟ ألم يرفضها من قبل أكثر من مرة؟ ما الذي أقنعه أنني سأعود؟

ألم يكن يعرف في قرارة نفسه أنني لن أعود وأنني أكذب عليه؟ هل كان غبيا أم كان يريدني أن أذهب لتلك النهاية الحزينة؟

كأنه أراد الانتقام مني.

أليس من حقي أن أربي ابنتي كما أريد؟ أليس من حقي أن أعلمها الثقافة والتقاليد التى أشعر أنها الأفضل لها ولي وللمجتمع ؟ اين حريتي الشخصية ما داموا يتدخلون فى كل شيء، أعلمها شيئا فيعلمونها فى المدرسة والشارع والتلفزيون شيئا آخر تماماً، يعلمونها التمرد على كل ثقافتنا وتقاليدنا يعلمونها السخرية من تاريخنا، يريدونها أن تكون امرأة شهوانية تنتقل من رجل لآخر تحت شعار الحرية.

من قتل ابنتي؟ هل أنا المسئول؟.

من سمح لهم ببيعها الخمر والعودة سكرانة من خمارات البلد؟ الكلاب يتوهمون إنهم أكثر حبا لابنتي مني أنا.
مجانين . ألست وأمها من سهر الليالي لتربيتها؟.
ألست من كان يقضي معها ساعات في المستشفى إذا مرضت ؟ هل القاضي أكثر حزنا مني عليها؟. ماذا قدم لها القاضي؟
كم ليلة سهر من أجلها؟

آه بلستينا ،كم دللتك، ميزتك عن زينب يبدو أن الله يعاقبني ،منحتك حبا وحنانا أكثر مما وهبته لزينب وأخويها أولادي من الأم الفلسطينية وها أنا أموت على يديك فيما زينب تبكي الآن حزنا على والدها الذي كانت تحلم وهي صغيرة أن يمنحها بعض حنانك، بعض حبك بعض ما منحته لك.
آخ يا زينب كم ظلمتك يا ابنتي، كيف أنت الآن، وكيف أخوك نبيل وأخوك زياد، أعرف أنهما ابتعدا عني لانني اهملتهما. سامحوني، سامحوني فلم يبق لي سوى دقائق . عندما ينتهون من ربط كل الأشياء وفحص ما يفحصونه سأموت، سأغادر هذا العالم.

سأترك البلد التي رقصت فرحا بالقدوم لها وها أنا أبكي وأنا أغادرها لكن ليس لفلسطين، ليس لرام الله، ليس لقبر أمي وأبي، ولكن لمقبرة هنا في ضواحي الغربة. فرحت عندما منحني القنصل الفيزا وقلت له بسعادة

- ثنك يو مستر قنصل، أنا سعيد لأنني سأزور بلدكم بلد الديمقراطية.
وعندما غادرت القنصلية كنت أضحك لأنني استطعت أن أخدعه لأنني عزمت على السفر للبقاء هناك وليس للزيارة.

كنت أعتقد إنني خدعته، وها أنا أضرب اليوم كفا على كف، يبدو أنه هو الذي خدعني.

انتهى فريق الإعدام من ترتيب اللازم، خرجوا من الغرفة وأغلقوها عليه كانوا من الخارج يراقبون كل شيء من خلال الشباك الزجاجي الذى يفصل بينه وبينهم.
كان السجانون والمسؤولون يراقبون الوضع، بدأت لحظات العد التنازلي لم يبق سوى دقيقة.
ناصر وقد استعاد بعض هيبته.
- اللهم رحمتك أشهد أن لا إله ألا الله وأن محمداً رسول الله.
اللهم إني استودعك أولادي وخصوصا زينب فاحفظها برعايتك وأنزل السكينة على قلبها.
اللهم ارحم روزالي واغفر لها.
تراءى لناصر شريط حياته كلها فى ثوان معدودة. ها هو يحضن بلستينا يقبلها، يقول لها أنت بالدنيا كلها. فجأة يتذكر الليلة الأخيرة عندما طعنت بالسكين. يصرخ لا لم أقتلها، أحبها، بلستينا ابنتي، حبيبتي، لن تحبوها أكثر مني ، لن تحبوها..
صعقته الكهرباء فجأة، اهتز جسمه هزات متتالية لثوان، فتح فمه وخرج لسانه، وتوقف قلبه عن الخفقان.

عرف السجانون من الأجهزة المربوطة بقلبه أنه مات .

- مات ناصر..
قال أحد السجانين لأهله فى غرفة الانتظار فى السجن يمكنكم استلامه من المستشفى بعد توقيع الأوراق اللازمة.

انتهى الأولاد من توقيع الأوراق اللازمة .دخلوا غرفة الأموات سحبوه لهم من الثلاجة رفعوا عنه الغطاء . كان مخيفاً . عيونه أشبه بمن يبحلق بشيء أمامه كان عابس

الوجه كأنه يلوم الدنيا على ما جرى له أما فمه المفتوح فكان كأن آخر كلمة نطقها لم تكتمل، فبقيت في حلقه حزينة لا تدري هل تخرج أم تعود حيث أتت.

صرخ الأولاد جميعا، لم يتحملوا المنظر، تدخل بقية الأصدقاء فحملوهما للخارج وطلبوا من المستشفى نقل الجثة بسيارة نقل الموتى التي تنتظر بالخارج لتنقله للمسجد للصلاة عليه قبل دفنه.

حضر الكثير من العرب جنازة أبو نبيل،فقد جاءوا جميعا للصلاة عليه بالمسجد ورافقوه إلى المقبرة الإسلامية جاء فى جنازته أصدقاؤه العرب المسيحيون والمسلمون، وعدد من الأمريكيين وبعض الأمريكيين من أصل مكسيكي كانوا جميعا حزانى لموته. حزنهم لم يكن يعني موافقتهم لقتل ابنته رغم أنهم سمعوا ما حصل تماما من أولاده لكنه حزن من يأسف لمن يحبه أن يتورط فيما يتورط به.

حاول أن يقرب بين مختلف الجاليات العربية حاول أن يجعل منهم جالية موحدة بعيدة عن صراعات الحكومات والزعماء العرب تعرض للملاحقة للمطاردة لكن بدلا من السجن بسبب نشاطه الاجتماعي أعدم بسبب قتله لابنته. ظل حتى اللحظة الأخيرة يقول : لم أقتلها هم الذين قتلوها هم الذين دفعوني لقتلها سلبوها مني، جردوها من كل إنسانية، علموها السكر والتحشيش علموها فن الدعارة ثم ضحكوا عليه.

روزالي في غرفة الإعدام

فى نفس السجن ،وفي نفس غرفة الإعدام كانت روزالي فى اليوم الذي يليه تستعد لتسليم مقاليد حياتها للسجانين حكموا عليها بالإعدام، قرروا أنها يجب أن

تموت لم يرحموها كانوا أكثر قسوة عليها من ناصر قالوا لها أنت أم فكيف تجرئين على قتل ابنتك ،لم يصدقوها أنها لم تنو قتلها وأن ابنتها هي السبب.

قالت لهم أنا مسيحية لست مسلمة مثل ناصر، لكن لا يوجد أب ولا أم في العالم ترضى لابنتها الانهيار، كل واحد منكم يريد الخير لابنائكم لكننا أحيانا فى ظروف معينة نحاول أن نقسو عليهم لوضعهم فى الطريق الصحيح فكثيرا ما تنجح المحاولات لكن أحيانا تكون الجرعة قد فاقت الحد المعقول فتحصل الكارثة.

قرأوا عليها لائحة الاتهام والقرار بالإعدام.. سحبوها للداخل أجلسوها على الكرسي ،ربطوها كما ربطوا ناصر كانت تقول فى نفسها:
هنا كان ناصر يوم أمس ،كأنني أجلس فى حضنه الآن ، آه ناصر، أين أنت؟، لماذا لا تضمني لصدرك، لماذا لا أشم رائحة أنفاسك؟أين أنت؟ أنا بحاجة إليك هذه اللحظة، أريد حنانك، أريد عطفك، أريد أحضانك. أين يديك ؟ أين حبك؟ أصحيح أن كل ذلك أصبح مجرد ذكرى؟ ولكن من سيتذكر ذلك يا ترى بعد قليل سألحق بك إلى حيث تكون هل صحيح ستستقبلني على باب الجنة ؟ أصحيح أن بلستينا ستكون معك بعد أن تشفى من جحودها لنا؟

سامَحَك الرب يا بلستينا ،لقد قتلت أمك وأباك وقتلت نفسك، قتلت أسرة كاملة كانت تنعم بالهدوء.
بلستينا نحن نحبك رغم كل ما جرى، آه بلستينا لو كنت الآن حية كما أردناك لما همنا الإعدام. لقد ضحينا لأجلك، تعبنا، جاهدنا لكي نجعل منك أفضل بنت في العالم .
لا يا بلستينا لم نكن نريدك أن تكوني نسخة منا لكن لا نريدك أن تكوني مجرد فتاة مراهقة تتسكع بالشوارع. كان أبوك يحلم أن تكوني مثل مدام كوري، أو حنان عشراوي، كنا نحلم أن تكوني بدرا يتصارع الكل لينعموا بنوره. فاخترت صديقك

الأسود تاجر المخدرات المتسكع بالشوارع وعندما نهاك أبوك عن ذلك أرسلت صديقك ليعتدي عليه في المحل.

أبوك الذي منحك حنانه يتعرض للاعتداء من مراهق أوهمت نفسك بحبه مع إنك كنت تقضين الوقت معه تتعاطين المخدرات والخمر.
لم نبخل عليك ،لم نحاول أن نسلبك حريتك لكن كنا نريدها حرية إيجابية لا سلبية.
أيستحق أبوك لعنة العار التي تلاحقه فى قبره؟ لماذا كل ذلك؟.
ليتك سمعت كلامنا يا بلستينا.
ليتك سمعت كلامي.
يرحمك الرب يا ابنتي، سامحينا إن أخطأنا لعلك الان أمام أبيك تطلبين عفوه، لاتبعدا كثيرا فأنا قادمة إليكما انتظراني على باب الجنة، لا تتعمقا في الداخل فقد تضيعان عني.
أريد أن أراكما، أريد أن اضمكما إلى صدري، أريد أن أقبلكما، ليرحكما الرب وليرحمني بعدكما.
ناصر نا....
لم تستطع روزالي أن تكمل الكلمة فقد صعقتها الكهرباء بوقف دماغها وقلبها عن الحركة .روزالي أصبحت جثة هامدة .
روحها لحقت بروح ناصر ومن قبلهما ابنتهما بلستينا، عائلة كاملة سلمت أرواحها لباريها، كأنها قصة من قصص ألف ليلة وليلة، أو كأنها قصة خرافية تحدثها جدة لحفيدتها فى سرير نومها. وكأن الحفيدة تقول لجدتها جدتي، جدتي، ماذا تفعل بلستينا الآن فى السماء؟.
جدتي هل صحيح ناصر كان يحب ابنته؟
فترد الجدة قائلة: عندما تكبرين وتخلفين سوف تعرفين كم يحب الأبوان أولادهم.

خبر إعدام ناصر وروزالي وصل رام الله وقراها المجاورة فجاءت الحاجة سعدية تخبر سهام وأمها بالخبر.

- هل سمعت يا سهام ؟ ناصر وزوجته أعدما في أمريكا. انتقم لك الله من ناصر، ألم أقل لك أن الله يمهل ولا يهمل؟

- معقول؟ سألت أم سهام.

- ألا تصدقيني ؟ لقد قتلا ابنتهما بلستينا. ذبحاها بالسكين لأنها كانت دايرة على حل شعرها. بنات أمريكا كلهن عايبات. ألم أقل لك من السابق ؟

صفنت سهام وسألتها.

- معقول؟ ناصر يقتل ابنته؟.

أعتقد ربما اتهموه زوراً ، لا يمكن له أن يفعلها.ناصر يحب أولاده.

- يا سهام، أنت تعتقدين تربيتك أنت للأولاد مثل تربية المكسيكية، أنا سمعت أن ابنته كانت من يد إلى يد، أستغفر الله العظيم حتى أنها كانت تصاحب شابا أسود من تجار المخدرات. يالطيف الطف.

صاحت أمها:

ـ هذا جزاؤه لما فعله معك. لقد انتقم الله لك

قالت سهام:

- حرام عليك يا أمي، الله يساعده على بلوته.

- يا حمارة بعد كل ذلك تشفقين عليه

- ليس هذا يا أمي لكن..

- لكن ماذا..؟

قالت الحاجة سعدية مازحة.

- أكيد ما زالت ابنتك تحن له .

- لا تفهموني غلط. أنا لم اصفح عنه ولن أسامحه لكني لا أحقد الآن على أحد، تركته لله وهو الغفور الرحيم.

- الله كبير وهذا انتقامه.
- لكن يا أمي.. صمتت ثم قالت:
ماذا يفيدني دخوله السجن الآن وإعدامه ؟ هل سيرد لي شبابي الذي ضاع؟ هل سيرزقني بزوج صالح؟ تعرفين أن كل من تقدموا للزواج مني كانوا يكبرونني بثلاثين سنة وبعضهم كانوا متزوجين . مهما حصل له فلن يغير من واقع الأمر شيئا . اللهم إلا أنه يشفي غليلى، يشفي حقدي عليه لكن مع الأيام والآلام التي عشت فيها تعلمت أن الحقد والكره لن يحلا شيئا.
لعله الآن شعر بذنبه ،لعله ندم، أنا متأكدة إنه الآن يبكي دما على أيامنا التي مضت.

ايه ناصر ما الذى دفعك للهجرة؟ الفلوس؟ لقد كنا سعداء ولن يموت أحد من الجوع. كان لديك أحلى الأطفال نبيل وزياد وزينب، زينب الله يرضى عليها، يفتخر كل أب بها، زينب تركها أبوها وذهب يربي " بلستينا" لم تعجبه أسماءنا العربية فسماها مثل الإسبان.
ماذا أقول لكم والله إني أشفق الآن عليه.

قالت أمها بغضب.
- طبعا أنت خائبة مثل أبيك.

جلست سهام وحدها بعد انصراف الحاجة سعدية، تفتح دفاترها القديمة، تغوص فى ذكرياتها الماضية، هل بقي متسع من الطريق للعودة للماضي؟ هل يمكن العفو عن ناصر رغم كل ما فعله هل يقبل القلب أن يغفر؟.
ما أجمل الحب ، لكن ما أكثر الألم الذي تحملته لخيانته.

لماذا المرأة دائما هي التي تغفر وتسامح وتنسى؟! هل يستحق أن أسامحه؟ ألم يطلقني بعد خمس سنوات من سفره ليدفع لي المتأخر (300 دولار) أهذا هو الوفاء ؟كل هذا تمسك بالدين؟

جرحى كبير لم يندمل بعد، كان يقول لي دائما:

- أنت يا سهام الرئة التي أتنفس منها، بدونك لا أساوي شيئا ولا أستطيع التنفس.

فأين كانت تلك الرئة عندما تزوج المكسيكية ؟ بترها ،كأنها أصيبت بالسرطان، نسي عشرة العمر. نسي أنه أحبني قبل الزواج. نسي عندما كنت وإياه نجلس فوق شجرة الزيتون لساعة وساعتين دون أن يرانا أحد كان يقول لي:

- سهام لماذا لم يسمك أبوك ليلى ولم يسمني أبي قيس؟

فأقول له:

- حتى نصنع قصة حب أخرى سهام وناصر

يضحك ثم يقترب مني فأدفعه بغصن زيتون صغير أحمله وأقول:

- ناصر لا تقترب سنقع على الأرض

فيقول:

- لا تخافي لن أتركك تقعين عن الشجرة.

- لماذا هل أنت سوبرمان؟

- لا لكن قلبي سيحميك من السقوط.

كنت سعيدة بكلامه ،وأتعمد المشاكل معه حتى يصالحني كنت أحاول الابتعاد عن يديه لكن جسمي كله كان يرتعش عندما يلمسني، كنت فرحة بلمسات يديه، ونظرات عينيه. لكن طبيعة المرأة في بلدنا تتمنع وهي راغبة.

آه يا ناصر نسيت كل ذلك، وأسكرتك أمريكا.

تركتني من أجل بلد الذهب والغنى. كنت تحلم بالفيلا والسيارة العريضة و.. و.. و..

بعتني من أجل سيارتك والفيلا التي حلمت بها فماذا حصلت منها؟.

الشيب غزا مفارقنا ولم يبق من العمر كثير فماذا جنيت من أمريكا؟ حتى لو أفرجوا عنك ولم يعدموك هل ستكون سعيداً عندما يظهر لك شبح ابنتك المذبوحة؟.

هل ستكون سعيداً عندما تنظر في عيون الناس فيشيحون بوجههم عنك إما لأنك قاتل وإما لأنك والد البنت التي كانت فاجرة، ماذا سيقول الناس الآن لابنتك زينب؟.

هذه ابنة الذي قتل ابنته، أكيد هذه البنت مثل أختها.

وعندما يتشاجر نبيل أو زياد مع أحد سيقولون له: لو كنت رجلا لما سمحت لأختك أن تكون عاهرة من خمارة لخمارة. كل هذا بسببك أنت يا ناصر.

أنت السبب، أنت دفعت ثمن أفكارك ونزواتك .

أنت تدفع ثمن تلهفك على أمريكا ،لم تعجبك ترمسعيا ولا ترابها الحنون . يا خسارة لما تموت قد لا يسمح لك أن تدفن فيها، أرأيت كيف تكون الغربة؟ لقد تركت وطنك مختاراً لا مجبراً فتخلى عنك ترابه وحجارته وهواؤه.

ليتك تعرف أن نسمة هواء قريتنا، تحت شجرة الليمون التي كانت في باب دارنا أجمل من أمريكا كلها.

ليتك تعرف روعة السهر على ضوء القمر فى كروم العنب ونحن نشرب الشاي ونتسامر، لا ليس خماراتكم ولا باراتكم ولا مولاتكم أجمل.

لا يا ناصر لن اصفح عنك، لكنني لست حاقدة عليك ،لست شامتة بك، بل أدعوه أن يترفق بك وأنت تدفع ثمن غلطاتك الكبيرة.

كانت لحظة سوداء تلك التي أخبرتني فيها إنك حصلت على الفيزا.

لماذا يا رب ساعدته بالفيزا؟ لماذا لم توعز للقنصل أن يرفض منحه الفيزا؟

لا أدري لماذا يسألهم القنصل إن كانوا سيعودون وهو يعلم أنهم لن يعودوا.

هل يخدعونهم أم هي خطة لتفريغ البلد من أصحابها الشرعيين ؟.

صمتت لحظة وبدأت تتمتم ما كانت تغنيه عندما سافر ناصر إلى الولايات المتحدة وتركها:

يا ظريف الطول وقف تقول لك.

رايح ع الغربة وبلادك أحسن لك

خايف يا المحبوب تروح وتتملك.

وتعاشر الغير وتنساني أنا

فهرس الكتاب

لعيون الكرت الأخضر	

الموضوع أو اسم القصة	التسلسل
الإهداء	1
كلمة لا بد منها	2
إلى الجحيم يا علي	3
أبو أنور قتلته الغربة	4
الخيانة تبدأ من هنا	5
حلم لن يتحقق	6
شوربة خضار بالخنزير	7
لعيون الكرت الأخضر	8
أنت طالق يا سهام	9
تيا تميم	10
رباب في أمريكا	11
كيف يموت الحب؟	12
نصيبك كده	13
وعادت مكسورة الجناح	14
الخيانة المزدوجة	15
أولاد للتبني	16
زيارة لمكتب الإف بي آي	17
فك يو دادي	18
من أجل ولدي	19
زافر كنغ	20
بلستينا	21